الدكتور
محمد رمزي أحمد فواز

الريح في القرآن
وعلاقتها بالدعوة إلى الله تبارك وتعالى

الطبعة الأولى
١٤٢٠ هـ — ١٩٩٨ م

دار الطباعة المحمدية
٣ درب الأتراك بالأزهر القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تبارك وتعالى :

« الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ـ ألا تعبدوا إلا الله إننى لكم منه نذير وبشير »

ويقول جل ذكره :

« إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً . وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذاباً أليماً » .

ويقول جل ثناؤه :

« أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً »

صدق الله العظيم

الإهداء

إلى زوجتي النبيلة التي وقفت بجانبي وتحملت العبء الأكبر في مشوار حياتي العلمية منذ البداية .

وإلى ولدي محمد وابنتي مريم .

وإلى كل المخلصين العاملين في حقل الدعوة إلى الله عز وجل .

وإلى كل راغبي التدبر في كتاب الله تعالى والعمل بما فيه .

ومافي سنة رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى كل هؤلاء أهدي لهم هذا الكتاب ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله العالمين عدد خلقه ، وزنة عرشه ، وعدد كلماته ، وكما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة لخلقه ، سيدنا محمد خاتم رسله وأنبيائه ، ورضى الله تعالى عن جميع أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعـــد :

فقد روى الترمذى فى سننه « عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، قلت : يا رسول الله ، وما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله تبارك وتعالى : فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعـــدكم ، وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، وهو الذى لاتزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ولايشبع منه العلماء ، ولايمله الأتقياء ، ولايخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تلته الجن إذ سمعته أن قالوا : « إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد » ، من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم ، خذها إليك يا أعور »[1] .

---

(1) رواه الترمذى ١٧٢/٥ ، كتاب : فضائل القرآن ، باب ما جاء فى فضل القرآن ، دار إحياء التراث العربى .

وقد جاء عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قوله : « إن هذا القرآن مأدبة الله تعالى ، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن: هو حبل الله ، والنور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة من تمسك به ، ونجاة من اتبعه ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضى عجائبه فاتلوه ، فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات »(١) .

ولله تبارك وتعالى خلق الكون ، وبث فيه من أسرار آياته الكونية ما لا يقع تحت حصر .. وقد عجز البشر — كل البشر — بما أوتوا من تقنيات أن يحيطوا بها علما .. وقد ذكرها القرآن الكريم جملة .. ومن يتدبر : الآيات القرآنية والآيات الكونية ، بقلب سليم ، بعيداً عن الموروثات القديمة والضغينة ، فإن ذلك يقوده إلى اليقين ، والتسليم بحقائق الإسلام .. ويقود المسلم إلى التشبث ، والإعتزاز بدينه .. معلنا عنه ، ورافعاً راياته فوق كل الآفاق بكل يقين .. ومن هذه الآيات : الريح .. وقد ورد لفظ الريح فى القرآن المجيد صراحة فى تسعة عشر موضعا ، وسأشير إليها موضحا علاقة الريح بالدعوة فى ثنايا هذا البحث المتواضع .. وتناولته فى عدة موضوعات ، وجعلت لكل موضع ذكر فيها الريح عنوانا .. وعند ذكر الريح وسيدنا هود ، وكذلك سيدنا سليمان عليهما والسلام ، رتبت ذكرها فى القرآن الكريم حسب النزول ، ويتضح مغزى ذلك عند تناول هذه الموضوعات .. وإتماما للفائدة تناولت لفظ الريح مفردا ، والتى ورد ذكرها فى الذكر الحكيم ، ولم يكن معناها الريح التى أتناولها وذلك فى تكملة خاصة فى نهاية البحث ..

---

(١) المعجزة الكبرى ، الشيخ : محمد أبو زهرة ، ص ١٣ ، دار الفكر العربى .

والله سبحانه وتعالى أسأله أن ينفع ويهدى به .. ويجعله فى ميزان حسناتى يوم لقائه ، إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ؟

د / محمد رمزى أحمد فواز
الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين والدعوة
بشبين الكوم — جامعة الأزهر
قسم الدعوة

بين الريح والرياح

فى البداية أود التأكيد على ؛ أن لفظ الرياح بالجمع فى الذكر الحكيم. ليس من مطلبى هنا ، ولكن مقصدى فى هذا البحث : لفظ الريح بالإفراد فى القرآن الكريم — وهذا ظاهر من عنوان البحث ..

ومع أن الريح من الرياح .. إلا أن هذه تغـــاير تلك ، من حيث التكوينات ، ومن حيث المرامى والأهداف .. وذلك من دقة التعبير القرآنى المعجز ، وكذلك دقة الإعجاز فى الخلق .. وكل هذا — وغيره له دلالة على قدرة الخالق عزوجل ، وحكمته تبارك وتعالى ووحدانيته ..

فروق بين الرياح والريح :

لاشك أن الرياح — بالجمع — تغاير الريح — بالإفراد ، وبخاصة من حيث المهام ، وتسخير كل منهما للرسالة المنوطة بها .. والأمر الإلهى لكل منهما .. وإن كانت الريح من الرياح ، فهذا أحد الأدلة المبثوثة فى كون الله تبارك وتعالى على قدرته الطليقة ، التى لاقيود عليها ، ولاحدود لها وهو سبحانه وتعالى يخلق الشىء الواحد ، ويجعله نافعاً تارة ، وضاراً تارة أخرى .. وفق مشيئته وإرادته ، بل قد يخلق الله عزوجل الشىء الواحد ، ويكون نافعاً لإناس ، ضاراً بآخرين مثل الماء لسيدنا موسى ومن معه ، ولفرعون ومن معه ، فكان نعمة ونقمة فى أن واحد ، وكما سيأتى الحديث فى ثنايا هذا البحث عن الريح .

ولما كان كل مخلوق ميسر لما خلق له .. يؤدى وظيفته ، والأغراض المكلف بها من قبل خالقه جل وعلا ومجاله الذى لايحيد عنه .. مثل النجوم والكواكب ، والماء الملح ، والماء العذب ، والأرض والشجر والدواب والجبال ، والسموات ، والملائكة والأنس والجن إلخ كذلك

الرياح والريح ، فكل منهما لها أهدافها المنوطة بها .. وفق تسخير الله تعالى لهما ويكون الشيء الوحد له منافع متعددة ، فرب العزة يقول فى شأن الرياح «وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون»(١) .

ويقول جل ذكره : «وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين»(٢) .

ويقول تبارك وتعالى : «والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور»(٣) .

إلى غير ذلك من الآيات الحكيمة المحكمة والتى ورد فيها ذكر الرياح — هكذا — بالجمع ، فنجدها دائماً — كما ترى — تأتى بالخير والمنافع الجمة التى لا تقع تحت عد ولا حصر .. وهذا — كله — بخلاف الآيات التى ورد فيها لفظ الريح بالافراد .. فنجدها لا تأتى إلا بالضر والعذاب والهلاك .. وإذا ورد ذكرها فى القرآن المجيد بالافراد ، وأراد الله تعالى بها الخير قيدها سبحانه بوصف أو قرينة تدل على ذلك .. وهذا من عظمة الاعجاز فى الذكر والخلق .. وكل هذا إن شاء الله تعالى سوف يظهر جليا فيما بعد .

ولقد كان رسول الله ﷺ إذا هاجت ريح يقول : اللهم اجعلها رياحا ، ولا تجعلها ريحا ، وهذا من بلاغة الرسول ﷺ ، وإفادته إيانا

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٥٧
(٢) سورة الحجر : الآية ٢٢
(٣) سورة فاطر : الآية ٩

بما بين الريح والرياح من فروق . . . فقد روى عبدالله بن عباس — رضى الله تعالى عنهما — قوله : كان النبى ﷺ إذا هاجت ريح ، استقبلها بوجهه ، وجثا على ركبتيه ، ومد يده . وقال : اللهم إنى أسألك خير هذه الريح ، وخير ما أرسلت به ، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا . اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا »[1] .

فالحديث الشريف بمنطوقه ومفهومه فرق بين الرياح بالجمع والريح بالإفراد . . وبخاصة من ناحية أغراض كل منهما . . وسيأتى المزيد لهذا .

الرازى والرياح والريح :

وإذا كان القرآن الكريم فرق بين الرياح والريح ، وبخاصة من حيث تسخير كل منهما لأغراض معينة محددة ، وكذلك سنة رسول الله ﷺ . جملة فإن المفسرين أخذوا فى ذكر بعض هذه الفروق بشىء من الشرح .

وأسوق هنا — للإيجاز أقوال واحد منهم ، وهو الرازى فقال (إن الرياح من رحمة الله تعالى ، وهى متواترة ، والريح من عذابه ، وهو تعالى رءوف بالعباد يمسكها ، ولذلك نرى الرياح النافعة تهب فى الليالى والأيام فى البرارى والآكام ، وريح السموم لا تهب إلا فى بعض الأزمنة ، وفى بعض الأمكنة . . وسمى النافعة رياحا ، والضارة ريحا لوجوه ، نذكر منها .

أحدها : للنافعة كثيرة الأنواع ، كثيرة الإفراد لجمعها ، فإن كل

---

(١) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير ٢١٣/١١ ، ط ١٤٠٠ هـ ، وانظر مجمع الزوائد للهيثمى ١٣٥/١٠ ، مكتبة القدس . وقال : وفيه حسين بن قيس . وهو متروك ، وقد وثقه حصين بن نمير ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

يوم وليلة تهب نفحات من الرياح النافعة .. ولا تهب الريح الضارة فى أعوام ، بل الضارة فى الغالب لاتهب فى دهور ..

ثانياً : أن النافعة لاتكون إلا رياحاً ، فإن مايهب مرة واحدة لايصلح الهواء ، ولا ينشىء السحاب ، ولايجرى السفن ، والضارة بنفخة واحدة تقتل ، كريح السموم)[1].

وهكذا يتضح جليا الفرق بين الرياح والريح من البداية .

الموضوع الأول : الريح والفطرة :

يقول الله تبارك وتعالى : « هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين »[2].

والمعنى العام للآية الكريمة . قال ابن كثير قوله تعالى : هو الذى يسيركم فى البر والبحر ، أى يحفظكم ويكلؤكم بحراسته « حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها » أى بسرعة سيرهم رافقين ، فبينما هم كذلك إذ « جاءتها » أى تلك السفن « ريح عاصف » أى شديدة « وجاءهم الموج من كل مكان » أى أغتلم البحر عليهم « وظنوا أنهم أحيط بهم » أى هلكوا « دعوا الله مخلصين له الدين » أى لايدعون معه صنما ولا وثنا ، بل يفردونه بالدعاء والإبتهال كقوله تعالى : « وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان

---

(١) التفسير الكبير ٦ / ٤٨٦ ، ط طهران .
(٢) سورة يونس الآية ٢٢ .

كفورا ، وقال هنا « دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه » أى هذه الحال « لنكونن من الشاكرين، أى لانشرك بك أحدا « ولنفردنك بالعبادة هناك كما أفردناك بالدعاء هنا)[1] .

من فقه الآية الكريمة فى الدعوة إلى الله عز وجل :

وأسوق هنا عدة نقاط تبرز فقه الآية الكريمة فى دلالتها فى الدعوة إلى الله عز وجل .

النقطة الأولى :

قوله تبارك وتعالى : « جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان » فى هذا الجزء من الآية ترتيب معجز ، لافت للنظر ، دال على أن هذا القرآن الكريم وحى من عند خالق الخلق ، ومبدع السموات والأرض والذى أبدع وخلق أعلم بما أودع وخلق ، « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير »[2] . والإعجاز جلى وعلى لأولى النهى والبصيرة وذلك فى ذكر الريح الموسومة بكونها عاصفة ، ، ومن معانى مادة عصف فى كتب اللغة : الشدة والسرعة والإهلاك[3] ، وذكرت الريح الموصوفة بكونها عاصفة قبل ذكر الموج . لتدلل على أثر الريح —هذه— فى تكوين الموج .. حيث تتسبب — هذه — الريح بما أودع الله الخبير فيها من أسرار وآيات فى دفع سطح ماء البحار والمحيطات لتكوين الأمواج ،

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٤١٢ ، ١١٣ والآية ٦٧ من سورة الأسراء وستأتى .

وانظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٤ / ٣٢٥١ .

(٢) سورة تبارك آية ١٤

(٣) انظر لسان العرب ، ابن منظور ٤ / ٢٩٧٢ ، دار المعارف .

وعلى حسب سرعة الريح يكون مقدار ارتفاع الأمواج ، وإذا كانت الريح عاصفة .. كانت الأمواج متلاطمة شاهقة الارتفاع .. وقد يصل ارتفاع الموج إلى مائة وعشرين قدماً ، وقد يزيد .. وإن ريحاً عاصفة كهذه وأمواجاً عاصفة تتلاحق بما تدفعها الريح حتى تصل إلى هذا الارتفاع الشاهق لكفيلة بأن تطوى بين أمواجها ، بل تسحق وتفتك وتدمر أكبر السفن والأساطيل بما فيها وما عليها إلى مكان سحيق في أعماق البحار والمحيطات .. والمقصد هنا أن هذا المشهد القائم والمنظر المنظور ، لأصحاب السفن ومن ارتاد واعتاد ركوب البحار لم يشهده رسول الله ﷺ ، فما أثر عنه ﷺ أنه ركب البحر قط ، فلم يكن بد من أن رسول الله ﷺ تلقاه بوحي من لدن حكيم خبير أحاط بكل شيء علما .. وعلمه إياه رب القوى والقدر .

النقطة الثانية :

قوله جل ذكره في الآية « وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين » .. وهذا الجزء من الآية يبرز حقائق عدة أذكر منها حقيقتين :

الحقيقة الأولى :

أن الإسلام هو دين الفطرة المستقرة والكامنة في أعماق النفس .. والمغروزة في كيانها ، والممزوجة بكل خلية من خلايا أعضاء الإنسان ، سارية في أوردته وشرايينه .. ينبض بها قلبه .. ويهتف بها لسانه عند المحن والشدائد .. مهما كان معتقده ..

معنى الفطرة : جاء في كتب اللغة : (أصل الفطر : الشق ، ومنه قوله تعالى : « إذا السماء انفطرت » أي انشقت ، وفي الحديث « قام رسول الله ﷺ حتى تفطرت قدماه .. » أي : انشقتا — من كثرة قيامه لله تعالى في الصلاة — ومنه أخذ فطر الصائم لأنه يفتح فاه .. وفطر الله الخلق :

خلقهم وبدأهم ... والفطرة : الإبتداء والإختراع .. وفى التنزيل قوله تعالى : « الحمد لله فاطر السموات والأرض .. » قال ابن عباس رضى الله عنهما : ما كنت أدرى مافاطر السموات والأرض حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر، فقال أحدهما . أنا فطرتها أى ابتدأت حفرها . والفطرة : مافطر الله عليه الخلق من المعرفة به .. وهى الخلقة التى يخلق عليها المولود فى بطن أمه .. وهى مافطر كل إنسان على معرفته بأن الله رب كل شىء وخالقه .. وقوله تعالى : « ومالى لا أعبد الذى فطرنى » أى خلقنى ، وقول النبى ﷺ « كل مولود يولد على الفطرة .. » يعنى على الخلقة التى فطر عليها فى الرحم من سعادة أو شقاوة ، فإذا ولده يهوديان هوداه فى حكم الدنيا ، أو نصرانيان نصراه فى الحكم ، أو مجوسيان مجساه فى الحكم ، وكان حكمه حكم أبويه حتى يعبر عنه لسانه ، فإن مات قبل بلوغه مات على ماسبق له من الفطرة التى فطر عليها .. فالمولود يولد على الجبلة والطبع المهيء لقبول الدين ، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ، ولم يفارقها إلى غيرها ، وإنما يعدل عنه لآفة من آفات البشر والتقليد ..)[١] .

وجاء فى الحديث الشريف « عن أبى هريرة رضى الله عنه يقول : سئل النبى ﷺ عن ذرارى المشركين ، فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين»[٢] وقال رسول الله ﷺ « مامن مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من

---

(١) لسان العرب ٥/٣٤٣٢ (بتصرف) .
وانظر : مفردات القرآن ، للراغب ص ٣٨٢ دار المعرفة
(٢) أخرجه البخارى فى كتاب : الجنائز ، باب : ماقيل فى أولاد المشركين ٣/١٩٢ .

جدعاء ، ثم يقول : فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم »[١] .

وفى الحديث عن « عياض بن حمار عن النبى ﷺ فيما يرويه عن رب العزة : إنى خلقت عبادى حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين عن دينهم »[٢] .. قال ابن حجر (وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة : الإسلام ، قال ابن عبد البر وهو المعروف عند عامة السلف : وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى « فطرة الله التى فطر الناس عليها » الإسلام)[٣] . وبعد ذلك حسم الأمر ابن حجر دون منازعة بأن الفطرة هى الإسلام ، كما سبقه إلى ذلك إمام المحدثين دون منازع البخارى وقد نص على ذلك فى متنه[٤] . وستأتى الإشارة إلى آية الإعراف .

هذه هى الفطرة التى سكنت واستقر مقامها فى خلق الله تبارك وتعالى ، لكن قد يعترى كثير من الناس غشاوة ، بل عمى : نتيجة استكبار وأنفة فينتكس ويرتكس عن تلك الفطرة السوية .. وذلك من إفرازات الهوى والشيطان ، والدعايات المضللة المضادة للفطرة السليمة .

ومن سخافات العادات والتقاليد والموروثات عن الآباء والأجداد . لأطماع دنيوية زائفة ، ولحسد وحقد لا مبرر لهما تجاه الإسلام الذى هو دين الفطرة وتجاه المسلمين الذين انسجمت عقيدتهم من فطرتهم .. إلا أن الإنسان — أيا كان معتقده — إذا اشتدت الريح وأسرعت وكانت عاصفة ، وتلاطمت الأمواج ، وأحاطت به ، ولاحقته ، وكأنها تقول له أين المفر ؟ واعتقد الهلاك والبوار والتدمير ، مهما أوتى من

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب : التفسير ، باب : قوله لا تبديل لخلق الله لدين الله ٨ / ٤١٦ .

(٢) الطبرانى فى الكبير ١٧ /٣٦٠ عن عياض بن حمار

(٣، ٤) فتح البارى ٣/٢٩١ ، ٨/٤١٦

أسباب النجاة . . هنا تبرق فطرته الأصيلة الكامنة ، وتخرج من مستقر فؤاده . . ويتجاوب كل كيانه مع فطرته ، ويهتف من أعماق قلبه على لسانه لا ملجأ ولا منجى إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . . وترك كل ما سواه من آلهة مزعومة قاده الشيطان بأحابيله إليها . . وحتى لو كان هـذا الإنسان ملحدا . . يقول الدكتور رءوف شلبي — رحمه الله — ويشعر الإنسان بالحاجة إلى الله تعالى فى حالتين :

الأولى : عند الشعور بالعجز والضعف ، يصور ذلك قوله تعالى — ثم ذكر الآية التى نحن بصددها — وقد خرج سكان بيوجراد — وهم شيوعيون ملاحدة — يهتفون BOG يعنى : الله عندما مرت بهم هزة أرضية لمدة ثمان عشرة ثانية وذلك فى سنة ألف وسبعمائة وسبعين من ميلاد المسيح

الثانية : إذا تحرر الإنسان من المواريث الثقافية والجاذبية الإجتماعية قال تعالى «والذين إذا فعلوا فاحشة أوظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون »)[1] .

والآية الكريمة — آية يونس — بما فيها من إعجاز وحقائق - ككل - والجزء المشار إليه من الآية سابقا خاصة تدعو إلى الله تبارك وتعالى رب العالمين . . لمن تدبر فيها . . وفى المنار أن بحارا كافرا — عند تدبره لهذه الآية وأمثالها — آمن بالله وحده ، وصدق برسالة سيدنا محمد ﷺ ..

---

(١) آلهة فى الأسواق ، د / رءوف شلبى ص ٣٥ ، الدار الإسلامية للطباعة والنشر ، ط ثالثة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م . والآية ١٣٥ من سورة آل عمران .

لقد انقشعت عنه الغشاوة . . وزالت عنه المواريث الضالة وانبثقت من سويداء قلبه فطرته السوية ، ولامس نور الآيات الإلهية صدره ، وشع منه نور اليقين . . وتشبث بالإسلام ورسوله . . وصار مثلا صالحا بين المسلمين . . قال صاحب المنار عند تفسيره لآية يونس (أطال هذا الربان الإنجليزى — النظر — فى هذه الآيات[١] ، فتعمد أن يعرف بعض المسلمين فى بعض ثغور الهند — حيث كان موجودا بها — فسألهم : أتعلمون أن نبيكم محمداً سافر فى البحار ؟ قالوا : لا : إنه لم يرد عنه أنه سافر فى البحر قط — وهذا صحيح — فاعتقد أن ما فى القرآن الكريم مما ذكره ، لم يكن إلا بوحى من الله تعالى لهذا النبى العظيم ، وأعظم ما فيه آيات التوحيد والتشريع والتهذيب التى هى أكمل وأقرب إلى العقل والفكر من كل ما فى التوراة والأناجيل ، فأسلم على علم وبصيرة ، وظل زمنا طويلا يتعبد بما يفهمه من ترجمة القرآن ، حتى أتيح له ترك عمله فى البحار ، فأقام فى مصر ، وتعلم العربية ، وعاشر فضلاء مصر ، وهو السيد / عبد الله براون رحمه الله ، وكان الإمام[٢] يضرب به المثل فى خشوعه فى الصلاة)[٣] .

وسورة يونس سورة مكية ، ومن خصائص السور المكية عامة أنها تندد بالشرك والمشركين ، وتهتك أستارهم ، وتمزق نسيج الكفرة والملاحدة ، وتحطم قلاعهم ، وتكشف عما هم فيه من أوهام وأباطيل . . وتأخذ بأيديهم إلى ساحة التوحيد الرحبة ، وإلى ميدانه الرائق الوارف ، وإلى منهله العذب الفرات ، السائغ شرابه ، الذى يزيل الظمأ ، ويطمئن

---

(١) يقصد آيات الفلك والبحار والريح وحالات الإنسان فيها .

(٢) يقصد الإمام محمد عبده .

(٣) تفسير المنار المسمى : تفسير القرآن الحكيم ، محمد رشيد رضا ٣٤١/١١ ط دار الشعب .

النفس ، ويريح البال ، ويذهب القلق والإضطراب والصراع وتوائم تواؤما تاما كاملا مع ما استقر من كيان النفس البشرية منذ بدء الخليقة . . وآية الريح فى هذه السورة ، وهى أول سورة مكية يذكر فيها الريح — حسب ترتيب المصحف — وإذا كانت السور المكية أول موضوعاتها : الدعوة إلى نبذ الشرك والكفر بكل صورهما ، ونصب الأدلة الواضحة على حقيقة الفطرة والتوحيد المتناغم معها ، إذا كان ذلك كذلك فإن الريح — هنا — قد ساهمت فى إبراز معالم كل هذا سواء حقيقة الشرك أم حقيقة التوحيد الخالص لله رب العالمين ، وسياق الأدلة والبراهين لكل منهما .

ومن التناسق البديع أن هذه الآية نبهت بل وأبرزت ما هو مكنون فى فطرة الإنسان التى جبل عليها منذ بداية الخلق من توحيد الخالق جل جلاله والإقرار المستكين فى نسيج الفطرة ، وهو المذكور فى هذا المشهد فى قوله تبارك وتعالى « وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون . وكذلك نفصل الآيات لعلهم يرجعون »[1] .

ومن التناسق البديع العجيب المعجز كذلك هنا : أن سورة الأعراف سابقة — حسب ترتيب المصحف سورة يونس ، والبديع هنا أن سورة الأعراف ذكرت وذكرت بحقيقة الفطرة البشرية منذ البداية السحيقة وسورة يونس كشفت عنها ، وأبرزتها للناس جميعا ، وبخاصة حين حيدتهم عن الطريق المستقيم ، ووقت وقوعهم تحت شراك الإحن والمحن . . وكأن هذا تدرج فى إبراز معالم الفطرة .

---

(١) سورة الأعراف الآيات ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤

الحقيقة الثانية :

إذا كان ما سبق بالنسبة للكفرة والمشركين والملاحدة بكل فرقهم لا يجدون وقت الإضطرار أمامهم إلا الدعاء إلى الله الواحد ، إذا كان ذلك كذلك فأولى بالمسلمين الذين هداهم الله برحمته إلى حقيقة التوحيد المنسجم مع ما فطرهم الله تعالى عليه .

الأولى بهم أن يلجأوا إلى الله تعالى وحده فى كل وقت وفى كل حال وبخاصة وقت الشدائد والمحن التى تتوارد عليهم من كل صوب وفى كل عصر . . ويكون ذلك بتوجههم قلبا وقالبا ، أفرادا وجماعة إلى منارة الإسلام ، يهتدون بها ، وإلى رحاب الشريعة الإسلامية . . وهى الركن الشديد ، والحصن المنيع ، والجبل الأشم الذى تتحطم عنده كل رءوس الشرك والضلال والبهتان . . ولا يلتفتون إلى غير شرع الله تعالى من أفكار ونظم من وضع البشر ، وينسون أو يتناسون شريعة رب البشر .. وهذا هو المنقذ الوحيد لهم . . وقد أشارت الآية — آية يونس — أن المشركين والكفرة والملاحدة بكل فرقهم فى هذه الحالات — الشدائد والكروب — قــد انكشف عنهم الغطاء المصطنع . . وانقشعت الغشاوات الموروثة .. وادركوا الحقيقة الأزلية والأبدية فى آن واحد .. وهى حقيقة الإله الواحد ، والرب القادر . . ووقت الشدائد لم يجدوا مخلصا لهم منها إلا الله عز وجل ، فدعوه وحده ، وتركوا كل ما سواه . . أقول إذا كان هؤلاء وهؤلاء ادركوا حقيقة التوحيد ، فأولى بالمسلمين أن يلجأوا إلى الله تعالى وحده . . وفى الحقيقة أن الآية الكريمة تنبيه إلى أمر خطير ، وهو تحذير وإنذار ، بل وترهيب المسلمين من اتخاذ الأنداد والإستعانة بغير رب العباد . . لأن من الأمور العجيبه أنك تجد عادات وتقاليد ، وأساطير وضلالات فى مجالات متعددة بين المسلمين ليست من

الإسلام فى شىء، سواء فى المناحى السياسية أم الإقتصادية أم الاجتماعية أم الإعلامية أم الثقافية أم الاخلاقية أم التربوية .. وأغلبها مستعار من خصوم الإسلام.. وهذه الضلالات أوقعت كثيرا من المسلمين فى حيرة من أمرهم .. وفرح عدوهم بهذه البلبله، وخصوم الدعوة الإسلامية يتخذون من هذا التخبط مندوحة للطعن فى الإسلام، والصد عنه .. وعلى العلماء المخلصين العاملين فى حقل والدعوة اصلاح ما أفسدته التقاليد البالية، وما أفرزه الغرب والتغريب من نعرات جاهلية .. وقد استرجع صاحب المنار، ونقل كلاما للسيد حسن صديق، أوضح من خلاله فطرة الإنسان السوى، وأبدى تعجبه وألمه مما يفعله بعض المسلمين فى عقيدتهم فقال (وفى هذا — الآية الكريمة — دليل على أن الخلق جبلوا إلى الله وحده فى الشدائد، وأن المضطر يجاب دعاؤه وإن كان كافرا، وفى هذه الآية بيان أن هؤلاء المشركين كانوا لا يلتفتون إلى أصنامهم فى هذه الحالة وماشابهها .. فياعجبا لما حدث فى الآسلام من طوائف يعتقدون فى الأموات، فإذا عرضت لهم فى البحر مثل هذه الحالة دعوا الأموات، ولم يخلصوا الدعاء لله تعالى كما فعل المشركون، كما تواتر إلينا تواترا يحصل به القطع، فأنظر هداك الله ما فعلت هذه الإعتقادات الشيطانية، وأين وصل بها أهلها؟ وإلى أين رمى بهم الشيطان!! وكيف أقتادهم، وتسلط عليهم حتى انقادوا له إنقيادا ما كان يطمع فى مثله ولا فى بعضه من عباد الأصنام .. فإنا لله وإنا إليه راجعون)[1].

وكذلك اشتكى وندد الآلوسى فى تفسيره من وقوع كثير من المسلمين فى وحل البدع والتقاليد الجاهلية فى أسلوب شيق فقال (أى الفريقين من هذه الحيثية أهدى سبيلا؟ وأى الداعين أقوم قيلا؟ وإلى الله المشتكى من زمان عصفت فيه ريح الجهالة، وتلاطمت أمواج الضلالة، وخرقت سفينة

(١) تفسير المنار ٣٣٩/١١

الشريعة ، واتخذت الإستغاثه بغير الله ذريعة ، وتعذر على العارفين الأمر بالمعروف ، وحالت دون النهى عن المنكر صنوف الحتوف .. إن فشو هذا الشرك فى الناس عامتهم ، وشيوع البدع من علمائهم والمنافقين من حكامهم ، جعل أولى النهى ، وأمرهم بالتوحيد المحض من الأمور المتعذرة)[1] .

وهذا الكلام صحيح .. وبخاصة لمن حاول الإصلاح ، وجذب الناس إلى ساحة التوحيد ، فلقد خضت إحدى المعارك فى محاولة إبعاد بعض البدع فى الأفراح والمآتم والموالد والمواليد ، ولكن كنت أعود خاوى الوفاض .. لما ترسب فى عقلية كثير من الناس أن هذه البدع لا يمكن الإستغناء عنها ، أما أنفا ، وإما استعلاء واستكبارا ، وإما خوفا من ضياع مركز اجتماعى أو فقدان منافع مادية تأتيهم من وراء هذه أو تلك ..

النقطة الثانية :

أن من رحمة الله تبارك وتعالى بعباده ورأفته بهم .. أن يستجيب لهم ما أخلصوا الدعاء له وحده ، حتى ولو كان الداعي المستغيث به كافرا ..

وينقذهم مما ألم بهم ، ويمنحهم فرصه وفسحة عسام يتفكرون ويتدبرون ، إلا أن من الناس عند تحقيق مآربه كثيرا ماينكث وينتكس ويركبه الغرور ، ويتناسى رحمة الله تعالى به ، وينسى نجدة الله تعالى له وقت شدته .. ومن رحمة الله تعالى به أن وضح له عاقبة هذه الإنتكاسات ونكران فضل الله عليه حتى لايقع تحت طائلة العذاب الأليم فقد حذر الله تبارك وتعالى الإنسان فى الآية التالية اللاحقة بالآية السابقة فقال تعالى « فلما أنجاهم إذا هم يبغون فى الأرض بغير الحق يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم

(١) روح المعانى ٩٨/١١ ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت

تعملون »، وعند انتكاسة الإنسان وتأخره للخلف، واغتراره بلذات الحياة الدنيا، عقب الله جل ذكره ببيان حقيقة الدنيا بأسرها، لعل هذا يردعه، ولا يمضى فى طريق الشرك فقال تعالى « إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ».

وهذا من التناسق المحكم، والتناغم البديع فى تعانق الآيات الكريمة وعلاقتها ومناسبتها بما بعدها وبما قبلها .. وقبل الانتقال إلى الموضوع الثانى أود أن اختم هذا الموضوع بحديث لسيدنا محمد ﷺ، يبرز مدى حرصه على أمته، ومدى عناية التشريع الإسلامى بأمة الإسلام فقد حذرنا الحبيب من ركوب البحر وقت ارتجاجه واشتداد الريح ففى حديث عنه « ومن ركب البحر بعدما يرتج فقد برئت منه الذمة »[1]

الموضوع الثانى: الريح ووعيد الكفرة:

يقول جل ذكره « وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا، أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا، أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا »[2].

هذا المشهد القرآن الحكيم، يصور مصير الناس الذين مسهم الضر فى البحر، ودعوا الله وحده .. فأستجاب لهم، ونجاهم إلى البر .. وهذا

---

(١) رواه أحمد فى مسنده عنه أبى عمران ٥/٧٩ دار صادر بيروت.
(٢) سورة الإسراء الآيات ٦٧، ٦٨، ٦٩

تقسيم حقيق معجز من الخالق، إما البحر أو البر، والجو مشترك بينهما فلا بحر بدون جو ولا بر بدون جو .. وقد ينجو هذا الإنسان من البحر إلى البر، ويظن أنه أصبح فى مأمن من عذاب الله تعالى من أهوال البحر .. فيعود لماضيه الخبيث من كفر وشرك، وفسق وفجور .. وهنا توعده الله تعالى ملك البحر والبر بنوعين من الوعيد :

الوعيد الأول : فى البر الذى نجو إليه، واطمأنوا عليه، وحصنوا انفسهم فيه . . واستقر مقامهم عليه .. وهنا توعدهم الله تعالى لا بنوع واحد من العذاب بل بنوعين منه ، حتى لا يظنوا أنهم أصبحوا فى مأمن كامن من عذاب الله تعالى، وحتى يتفكروا فى عاقبة تقهقرهم :

(أ) أن يخسف الله تعالى بهم الأرض قال القرطبى « بين أنه قادر على هلاكهم فى البر وإن سلموا من البحر، والخسف : أن تنهار الأرض بالشىء »[1] ، فهذا نوع من العذاب المؤلم، يأخذهم الله تعالى به إن هم نكسوا عن فطرتهم التى فطرهم الله تعالى عليها .. وبعد أن أنجاهم من الهلاك فى البحر ..

(ب) أن يرسل عليهم حاصبا .. والحاصب: ريح شديدة تحمل التراب والحصباء، وهى الحجارة، وتقلعها من مكانها، وترميهم بها، وقوله تعالى « إنا أرسلنا عليهم حاصبا »[2] أى عذابا يحصبهم أى يرميهم بحجارة من سجيل[3] ، وقال قتادة عن الحاصب: حجارة من السماء، ويكون الحاصب من الجليد أيضا[4] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤٠٢٠/٥ ، دار الغد ١٩٨٨م

(٢) سورة القمر آية ٣٤

(٣) انظر : لسان العرب، ابن منظور ٨٩٣/٢

(٤) انظر : فتح البارى، ابن حجر ٣١٥/٨

وعلى هذا فلا مجال لهم — لو كانوا يعتبرون — إذا سلموا من البحر إلى البر، إلى العودة إلى ما كانوا عليه، فالعذاب فى البر أشد وأنكى.

الوعيد الثانى: فى قدرة الله تعالى إلى عودهم إلى البحر مرة أخرى ويذوقوا العذاب والكرب الذى عايشوه وعاينوه من قبل ..

قال ابن كثير «أم أمنتم أيها المعرضون عنا بعد ما اعترفوا بتوحيد الله تعالى فى البحر، وخرجوا إلى البر، أن يعيدكم فى البحر مرة ثانية، فيرسل عليكم قاصفا من الريح، أى يقصف الصوارى، ويغرق المراكب، قال ابن عباس وغيره: القاصف ريح البحار التى تكسر المراكب وتغرقها»[1].

بين ريح يونس والإسراء:

يوجـــد تناسق بديع، وتلاحم أصيل، وانسجام رائع، وبيان معجز بين ريح سورة يونس وما ذكر معها، وريح سورة الإسراء وما ذكر معها .. وهذا من دلائل إعجاز القرآن الكريم، وأنه وحى من لدن أحكم الحاكمين، وصدق الله العظيم إذ يقول «أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً»[2]، ومع ما بين السورتين من مسافة بعيدة ست سور هى هود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر، والنحل، ومجموع آياتها خمسمائة وخمس وخمسون آية، وأضف إلى ذلك ست وثمانون آية بقية سورة يونس، وثمان وستون آية بداية سورة الإسراء حتى الآية التى ذكر فيها الريح، فيكون المجموع كله يساوى سبعمائة وعشر آية فاصلة بين ريح يونس وريح الإسراء ومع كل هذا نجد التناسق والتوافق، والترابط بينهما .. وسوف اشير إلى بعض هذا التناسق.

• ذكر البر فى آية يونس وكذا فى آية الإسراء، إلا انه فى يونس جاء

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/٥١

(٢) سورة النساء الآية ٨٢

فى موضع الإمتنان والفضل والرحمة، وفى الإسراء جاء فى موضع الوعيد والهلاك إن هم لم يقدروا فضل الله تعالى عليهم .

• جاء فى سورة يونس بيان فضل ورحمة الله تعالى على عباده فى اجراء السفن فى البحر، وكذلك رحمة بهم فيها ، وبروز الفطرة ، وكذلك ذكر فى الإسراء وذلك فى قوله تعالى « ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيما » ، وهذه الآية ذكرت قبل المشهد القرآنى السالف الذكر .. والإزجاء : السوق حالا بعد حال، والمراد به الإجراء[1] .. فاشتركت السورتان بما فيهما من لفظة الريح، لإبراز رحمة الله تعالى وفضله على عباده ، وكذا البيان متى تظهر الفطرة على الإنسان وتكرر هذا للتأكيد عليه .

• ومن الإمتزاج والترابط العميق أن سورة يونس ذكرت نجاتهم مما أحيط بهم فى البحر، وسورة الإسراء كذلك، وسورة يونس توعوتهم إن نكسوا، وسورة الإسراء كذلك .. إلا أن سورة الإسراء كان التوعد فيها أشد وأنكى، حيث ذكرت الخسف فى البر .. كما أنها ذكرت أمرا آخر، وهو بيان قدرة الله العلى القدير على إنشاء الأسباب لركوبهم البحر مرة أخرى ، وهنا لا تأتيهم الريح العاصف المذكورة فى يونس ، بل تأتيهم الريح القاصف المذكورة فى الإسراء، ومن معانى القاصف : الكسر والشدة والهلاك، ومنه قولهم : رعد قاصف أى شديد مهلك لصوته[2] .

قال الرازى « أرادها ريحا شديدة تقصف الفلك وتغرقهم »[3] ، كل هذا جزاء لعودتهم إلى الكفر بعد أن عاينوا البحر بأمواجه من قبل ..

(١) انظر : روح المعانى ، الآلوسى ١٥ /١٠٦

(٢) انظر : لسان العرب ٥/٣٦٥٤

(٣) التفسير الكبير ٥١/٣

وكما هو معروف أن سورة يونس سابقة فى ترتيب المصحف عن سورة الإسراء، وكأن هذا تدرج حتى فى مراحل النذارة والوعيد، وهذا من لطف الله تعالى بعباده، ورحمة بهم .

• لم يذكر الموج فى الاسراء كما جاء فى يونس .. لكن إذا كان الموج يعلو ويرتفع بالريح العاصف فإنه ولاشك يعلو ويرتفع أكثر وأشد بالريح القاصف الذى جاء فى الإسراء، فما ذكر فى إحداهما صراحة جاء فى الأخرى ضمناً، أو قرينة تدل عليه . .

وهذا من الإعجاز التعبيرى، وذكر الحقائق فى الذكر الحكيم ..

« اللهم إنى أشهد أنك أنت الله رب كل شىء ومليكه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدك ورسولك وأن القرآن الكريم كلام رب العالمين وأكرر عشرات المرات قوله تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » .

والمقصود : أنه لا أمن ولا أمان، ولا استقرار ولا عزة ولا خير لا فى البر ولا فى البحر لا فى الدنيا ولا فى الآخرة إلا بترك الشرك والكفر بكل أنواعهما . . والإقبال بل والتمسك والتشبث بما يتلاءم مع الفطرة، وهو حقل الإيمان بالله الواحد، وواحة الإسلام . . ولقد سبق هذا للناس بهذه الصورة البديعة المعجزة حتى لا يكون للناس حجة بعد أن وضح ووضح الله تعالى لهم معالم الهدى والنور والتوحيد . .

الموضوع الثالث : الريح وجبلة الكفرة :

يقول الله تبارك وتعالى : « ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلوا من بعده يكفرون »[1] هذه الآية تظهر ظلم الكفار لأنفسهم ، وعمى قلوبهم ، وفرط عتوهم ، وعنادهم وقسوة أفئدتهم ، والريح هنا ريح ضارة مهلكة إلا أنها لم تهلكهم مباشرة ، بل أتت على أحد الأسباب الرئيسة لقوام حياتهم ، وهو النبات .. وعالم النبات آية من آيات الله تعالى الكونية ، والمشحونة بالأسرار والإبداع والجمال ، ومع كل هذا فإن الله جل ذكره جعل منه وفيه مصدرا من المصادر الضرورية لحياة الإنسان ، وكذا الحيوان ، ولا حياة للإنسان إلا به .. وإذا أراد الله تعالى تعذيب قوم أو هلاكهم به ، أرسل إليه صورا عدة لإهلاكه ، منها الريح الضارة ، سواء أكانت حارة محرقة ، أم باردة متلفة ، فتجعله مصفرا فاسدا لا خير فيه .. بعد أن كان مخضرا ، ومستوى على سوقه ، ثماره يانعة ، إلا أن الآية الكريمة سيقت لبيان أن الكفرة من سجاياهم النكدة ، وطغيانهم الواضح . واعتقادهم الباطل ، لم يوطنوا أفئدتهم على : الشكر إذا أنعم الله تعالى عليهم .. وعلى الصبر إذا ابتلاهم .. وكثير من علماء التفسير رجحوا عودة الضمير في قوله : « فرأوه مصفراً » إلى النبات .. وهذا بلا شك أثر من آثار الريح الضارة ..

قال القاسمي : (« ولئن أرسلنا ريحاً » على الزرع « فرأوه مصفراً » أي من تأثيرها فيه « لظلوا من بعده يكفرون » أي من بعد إصفراره يجحدون ما تقدم إليهم من النعم ، أو يقنطون ولا يصبرون على بلائه ،

---

(١) سورة الروم الآية ٥١

وفيه من ذمهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رأيهم ما لا يخفى)[١] .

وقال الألوسى : (« فرأوه مصفرا » أى النبات المفهوم من السياق .. أى وبالله تعالى لئن أرسلنا ريحا حارة أو باردة فضربت زرعهم بالصفار، فرأوه مصفرا بعد خضرته ونضارته ليظللن « بعده » أى من بعد الإرسال أو من بعد الإصفرار لزرعهم ، وقيل من كونهم مستبشرين « يكفرون » من غير تلعثم نعمة الله تعالى ، وفيما ذكر من ذمهم بعد تثبتهم وسرعة تزلزلهم بين طرفى الإفراط والتفريط ما لا يخفى ، حيث كان الواجب عليهم أن يتوكلوا على الله سبحانه فى كل حال ، ويلجئوا إليه عز وجل بالاستغفار إذا احتبس عنهم القطر ، ولا ييأسوا من روح الله تعالى ، ويبادروا إلى الشكر بالطاعة إذا أصابهم جل وعلا برحمته ، ولا يفرطوا فى الاستبشار ، وأن يصبروا على بلائه تعالى إذا اعترى زرعهم آفة ، ولا يكفروا بنعمائه جل شأنه ، فعكسوا الأمر ، وأبوا ما يجديهم ، وأتوا بما يؤذيهم)[٢] . والآيات السابقة لهذه الآية ذكرت الرياح وما فيها وما لها — بما وضع الله تعالى فيها — من آثار رحمة الله .. وهذه الآية ذكرت الريح وما فيها من عذاب الله تعالى ، وسبقت آيات الرحمة فى الرياح أطول من هذه الآية ، وهذا يوضح الدلالات على

---

(١) تفسير القاسمى ، المسمى : محاسن التأويل ٤٧٨٧/١٣ ، ط عيسى البابى الحلبى .

(٢) روح المعانى ٥٤/٢١ ، دار إحياء التراث العربى ، وانظر : تفسير أبو ، المسمى : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٦٥/٧ ، ط دار المصحف .

ترجيح جانب الرحمة على جانب العذاب ، ويدل على ذلك كذلك : تقديم آيات الرحمة ، وتأخير آية العذاب ، وهذا أسلوب للدعوة أفاده هذا المشهد .. وإذا كان هذا حال الكافرين . فإن الآية من مفهومها تحذر المسلمين من الوقوع فى المستنقع الذى يقع فيه الكافرون من التردد والتذبذب ، وأن يعى المسلم الدرس والعبرة ، فلا ينقلب فى عقيدته مع تقلب الأحوال ، فهو ثابت العقيدة ، راض ومطمئن بما قدره الله تعالى له أو عليه ، وهو يرجو رحمة الله تعالى وفضله ، ولديه من الثبات ما يجعله ينظر إلى المآل لا إلى الحال فقط .. وسورة الروم مكية وكما سلف — فإن من خصائص هذه السور تثبيت العقيدة ، والثبات على المبدأ .. وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تؤكد هذا المبدأ ، وتحذر من الخروج عنه ، وتذكر الآثار المدمرة والمهلكة لمن حاد عن الطريق المستقيم ، منها قوله تبارك وتعالى : « ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين »[1] .

الموضوع الرابع : الريح وما ينفقه الكفرة :

يقول الله عز وجل : « إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون »[2] .

---

(١) سورة الحج الآية ١١ .
(٢) سوره آل عمران الآيتان ١١٦ ، ١١٧ .

والآية التى ذكر فيها الريح تقرر حقيقة إيمانية ثابتة ودائمة وهى : أن الكفرة بكل طوائفهم ومشاربهم وأزمانهم وأماكنهم لن تنفعهم فى الآخرة أموالهم مهما كثرت وتضخمت ، وكذا أولادهم. والذى ينفقونه فى وجوه البر والمساعدات حسب اعتقاداتهم المعوجة هباء ، لأنه غير مبنى على الأساس المتين ، والركن الرشيد ، وهو الإيمان الخالص بالله الواحد الأحد .. إلا أن القرآن الكريم يصور هذا المعنى فى صورة حية نابضة بالحركة والقوة وبالمشاهدة الواقعة ، حتى يقرع آذان — ومن ثم أفئدة — الكافرين ، عساهم يعودون إلى ساحة الإسلام .. ويتصلون بربهم . وساعتها تكون كل أعمالهم موصولة بالله الخالق ، ومقبولة عنده ، ومن ثم يجازيهم عنها خير الجزاء . وإذا كان ماينفقونه غير متفرع من شجرة التوحيد فلا فائدة فيه ، ولا قيمة له .

وقوله تعالى عما ينفقونه « كمثل ريح فيها صر » المثل عبارة عن قول يشبه قولا آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره .. وأبلغه — أى المثل — تمثيل المعانى المعقولة بالصورة الحسية وعكسه[1] .. ولضرب الأمثال تأثيرها النفسى على المستمعين ، وأسلوب من أساليب تبليغ الدعوة الإسلامية ، ومذكور فى القرآن المجيد والسنة المشرفة .. ويتحدث عنه الجرجانى مبيناً أثره الفعال فى المتلقين ويقول (أعلم أن مما اتفق عليه العقلاء أن التمثيل إذا جاء فى أعقاب المعانى أو برزت هى باختصار فى معرضه ، ونقلت من صورتها الأصلية إلى صورته كساها أبهة ، وكسبها منقبة ، ورفع من قدرها ، وشب من نارها ، وضاعف قواها فى تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب إليها ، واستثارلها من أقاصى الأفئدة

(١) فتح البيان ، صديق حسن خان ١ / ٦٢ ، وانظر : تفسير المنار ١ / ١٦٧ ، والمصباح المنير للفيومى ص ٥٦٣ ط ـ العلمية ، ولسان العرب ، ابن منظور ٦ / ٤١٣٢ ، دار المعارف .

صبابة وكلفا، وفسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا. فإن كانت مدحا كان أبهى وأفخم وأنبل فى النفوس، وأعظم وأهز للعطف، وأسرع للألف. وإن كانت ذما كان مسه أوجع، وحده أحد. وإن كانت حجاجا كان برهانه أنور، وبيانه أبهر. وإن كانت افتخارا كان شأوه أبعد، وشرفه أحد. وإن كانت اعتذارا كان إلى القلوب أقرب. وإن كانت وعظا كان أشفى للصدر، وادعى إلى الفكر، وأبلغ فى التنبيه والزجر، وأجدر بأن يجلى الغياية، ويبصر بالغاية، ويبرىء العليل، ويشفى الغليل)[١].

فالمثل له مراميه السامية، ومجالاته المتعددة فى الدعوة.

ومعنى الصر فى الآية: شدة البرد، وقيل هو: البرد عامة.. وقال ابن الأنبارى: فيها ثلاثة أقوال:

أحدها: فيها صر أى برد.

والثانى: فيها تصويت وحركة.

وروى عن ابن عباس قول أخر «فيها صر» قال فيها نار[٢].

والمعنى العام للآية جاء فى تفسير المنار (إن الريح المهلكة مثال للمال الذى ينفقونه — أى الكفرة — فى لذاتهم وجاههم، ونشر سمعتهم، وتأييد كلمتهم، فيصدهم عن سبيل الله. وأن العقول الحسنة التى هى أصل جميع المنافع هى مثال الحرث. أى أن المال الذى ينفقونه فيما ذكر هو الذى أفسد أخلاقهم، وأهلك عقولهم بما صرفهم عن النظر الصحيح ولفتها عن التفكر فى عواقب الأمور)[٣].

---

(١) أسرار البلاغة ص ٩٢، ٩٣، ط محمد على صبيح ١٣٩٧ هـ
(٢) انظر: لسان العرب ٤/٤٥٠.
(٣) تفسير المنار ٤ / ٦٥.

ويصور هذا المعنى الشهيد سيد قطب ، ويعبر عنه ويقول (إننا ننظر فإذا نحن أمام حقل قد تهيأ للإخصاب فهو حرث ثم إذا العاصفة تهب ، إنها عاصفة باردة ثلجية محرقة ! تحرق هـذا الحرث بما فيها من صر ، واللفظة ذاتها مقذوف يلقى بعنف فيصور معناه بجرسه النفاذ . وإذا الحرث كله مدمر خراب ! إنها لحظة يتم فيها الدمار والهلاك .

وإذا الحرث كله يباب ! ذلك مثل ماينفق الذين كفروا فى هـذه الدنيا — ولو كان ينفق فيما ظاهره الخير والبر — مثل ما بأيديهم من نعم الأولاد والأموال ، كلها إلى هلاك وفناء .. دون متاع حقيقى ، ودون ماجزاء : « وما ظلمهم الله ولـكن أنفسهم يظلمون » فهم الذين تنكبوا المنهـج الذى يجمع مفردات الخير والبر ، فيجمعها خطا مستقيما ثابتاً ، وأصلا له هدف مرسوم ، وله دافع مفهوم ، وله طريق معلوم .. فلا يترك للنزوة العارضة والرغبة الغامضة ، والفلتة التى لاترجع إلى منهـج ثابت مستقيم .. هم الذين اختاروا الشرود ، والضلال والإنفلات من عصمة الحبل الممدود . فإذا ذهب عملهم كله هباء — حتى ماينفقونه فيما ظاهره الخير — وإذا أصاب حرثهم كله الدمار ، فلن يغنى عنهم مال ولا ولد .. فما فى هذا ظلم من الله تعالى لهم ، إنما هو ظلمهم لأنفسهم من تنكب وشرود ..

وهـكذا يتقرر أن لا أجر على بذل ، ولا قيمة لعمل إلا أن يرتبط بمنهـج الإيمان ، وأن يكون باعثه الإيمان ، يقرر هذا ويقرره فلا يبقى بعده كلمة ، ولا يجادل فى هذا القرار إلا الذين يجادلون فى ايات الله بغير علم ، ولا كتاب مبين)[1] ..

وهـكذا تأتى الريح فى هذا المثل فى هذه الآية ، ليتقرر ، ويستقر فى

---

(١) فى ظلال القرآن ١ / ٤٥٠ ، ٤٥١ ، دار الشروق .

قلوب كل البشر على مدى الأجيال : أن الإيمان بالله الواحد هو الأساس لكل بناء ، وكل الأعمال ، ومهما بلغت بدون الإيمان بالإسلام لاقيمة لها . بل كان خزيا وحسرة على الكفرة يوم القيامة ، وهو اليوم الذى لاجدال فيه ، كما أنه اليوم الذى يكون الإنسان فيه إلى مسيس الحاجة إلى نتيجة عمله فى دنياه . . ومع كل هذا فإن عدل الله تبارك وتعالى نافذ حتى مع خصوم الدعوة الإسلامية . .

عدل الله تبارك وتعالى مع الخصوم :

إن عدل الله عز وجل قائم ومبثوث فى كونه من عرشه إلى فرشه ، حتى مع الجاحدين المعاندين لمنهاج الله تبارك وتعالى . . فإن ماينفقه هؤلاء فى سبل البر والخير فإن الله تعالى بعدله لايضيعه عليهم لكن هذا يكون فى دنياهم ، ولا جزاء ولا ثواب لهم عليه فى الآخرة ، والقرآن الكريم قد صرح بهذا .

فقد قال تعالى : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون . أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون »[1] .

قال ابن عباس : أهل الرياء يعطون بحسناتهم فى الدنيا ، وذلك أنهم لايظلمون نقيرا . .

وقال قتادة : من كانت الدنيا همه ونيته وطلبته جازاه الله بحسناته فى الدنيا ، ثم يفضى إلى الآخرة وليس له حسنة ، يعطى بها جزاء .

---

(١) سورة هود الآيتان ١٥ ، ١٦ .

وأما المؤمن فيجازى بحسناته فى الدنيا ، ويثاب عليها فى الآخرة)[1] ..

وهذا فيه عزاء للموحدين بالله الواحد عندما يجدون الكفرة الفجرة فى بحبوحة من العيش ، وفى الوقت ذاته فيه استنهاض لهمم المسلمين ، واستثارة لعزيمتهم ليزدادوا إيماناً بربهم .. وإخلاصاً فى كل أعمالهم .. وهم واثقون فى خطاهم إلى ربهم .. فهم وحدهم فى دنيا الناس أهل الفكر الثاقب . والعقل الناضج الذين يقدرون عواقب الأمور .. فهم يذهبون إلى آخرتهم المقررة ، والمستنكة فى أعماق أفئدتهم ، ومعهم مخزون هائل من الأعمال ، ورصيد زاخر مبارك فيه من ثمارها ، لينعموا به فى منازلهم الخالدة الأبدية ..

الموضوع الخامس : الريح وأعمال الكفرة :

يقول جل وعلا « مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شىء ذلك هو الضلال البعيد »[2] ..

قال ابن كثير (هذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكفار الذين عبدوا معه غيره ، وكذبوا رسله ، وبنوا أعمالهم على غير أساس صحيح ، فأنهارت وعدموها أحوج ما كانوا إليها)[3] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٤٣٩ ، دار الفكر .
(٢) سورة إبراهيم الآية ١٨ .
(٣) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٤٢٧ .

ويلاحظ :

• أن آية آل عمران ذكرت أن ما ينفقه الكفار لاقيمة له . وقد حدث هـذا بعد أن بين الله تعالى لهم مصير ما ينفقونه بإسلوب ظاهر واضح ، وقـد أغضوا الطرف بل عموا وصمـوا آذانهم عن عمد وسبق إصرار ، فهم — على ذلك — ظلموا أنفسهم وما ظلمهم الله تعالى .. وهذه الآية — سورة إبراهيم — ذكرت المثل بإسلوب قوى قارع فالرماد معروف ، وتفعل به الريح العجائب من تشتيت وتمزيق وبعثرة جزئياته، وبخاصة لو كانت الريح عاصفة . كل هذا يدركه الناس ، وواقع فى حياتهم ، وقد تتكرر هذه الصورة عشرات المرات خلال عمر الإنسان الواحد.. فمن لم يتدبر ذلك ، فهو فى ضلال بعيد ، وهو المعنى الذى زيلت به آية إبراهيم . كذلك آية إبراهيم لم تتناول ماينفقه الكفار فقط ، بل تناولت كل الأعمال أيا كانت ، حتى ولو كانت عبادات وتشريعات لأن هذه العبادات والتشريعات لم تـكن نابعة من منهاج الله تعالى الذى جاء به رسوله محمد ﷺ ، فآية آل عمران ذكرت ما ينفقونه فقط ، فإن قائل قائل . وماذا عن الأعمال الأخرى . فكانت آية إبراهيم فيها الجواب الشافى والرادع . وآية آل عمران أول آية مدنية تذكر الريح وما مثل بها — على حسب ترتيب المصحف — فكأن هـذا — والله أعلم — تدرج فى ذكر الحقائق أمام الناس . . كما يلاحظ أن هذا سيق لاللكفار فحسب من حيث ماينفقونه ، وكل مايعملونه .. بل سيق كذلك لـكل مسلم بأن يكون كل ما ينفقه ، وكل ما يعمله مقصودا به مرضاة ربه ،وابتغاء وجه تبارك وتعالى ولا يبتغى من وارئه سمعة ، ولا رياء ، ولا يمن به على عباد الله . . حتى لايكون مصير انفاقه وعمله والعياذ بالله — مصير ماينفقه ويعمله الكفرة والمشركين . .وفى القرآن الـكريم آيات كثيرة تنذر وتحذر من الوقوع

فى هذا ، مثال ذلك قوله تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين »[1] وقد حشدت السنة المطهرة حشداً كبيرا من الأحاديث تنذر وترهب من يقع فى وحل السمعة والرياء . . وتؤكد فى الوقت ذاته على الإخلاص فى كل الأقوال والفعال لله وحده . ومثال ذلك « عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه : رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها . قال : قاتلت فيك حتى استشهدت قال : كذبت ولكنك قاتلت ليقال جرىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت ، ولكنك تعلمت ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال : قارىء ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار . ورجل وسع الله عليه ، وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال فما عملت فيها ، قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا انفقت فيها لك ، قال : كذبت ، ولكنك فعلت ، ليقال : هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه فى النار »[2] وهذا قمة الترهيب .

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٦٤

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب : الجهاد ، باب : من قاتل للرياء والسمعة ١٣/٥٠ ، ٥١

الموضوع السادس : الريح ومصير المشركين :

يقول جل ذكره « حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق »[1]. ومعنى قوله تعالى : « حنفاء لله » أى مستقيمين له مائلين جهة الحق والعدل غير مشركين به شيئا . . وقال ابن كثير (أى مخلصين له الدين منحرفين عن الباطل قصدا إلى الحق ، ولهذا قال « غير مشركين به »)[2] . وقال الألوس (وهى جملة مبتدأة مؤكدة لما قبلها من الإجتناب من الشرك ، وإظهار الاسم الجليل لإظهار كمال قبح الإشراك . وقد شبه الإيمان بالسماء ، والإشراك بالسقوط منها ، فالمشرك ساقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر . . . وأصل الخطف هو الإختلاس بسرعة)[3] . وقال الرازى (إن كان هذا تشبيها مركبا فكأنه قيل : من أشرك بالله تعالى فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس وراءه هلاك ، بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرقت أجزاؤه فى حواصلها ، أو عصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المهالك البعيدة ، وإن كان تشبيها مفرقا فقد شبه الإيمان فى علوه بالسماء ، والذى ترك الإيمان وأشرك بالله كالساقط من السماء ، والأهواء التى تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذى يطرحه فى وادى الضلالة بالريح التى تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة)[4] . وقال الألوس حول معنى قوله تعالى : « أو تهوى به الريح » (أى تسقطه وتقذفه « فى مكان سحيق » بعيد . فإن الشيطان قد طوح به فى الضلالة ، وفى ذلك تشبيه الشيطان المضل بالريح المهوية ،

---

(١) سورة الحج الآية : ٣١
(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/٢١٩
(٣) روح المعانى ١٧ / ١٣٥
(٤) التفسير الكبير ٦ / ١٥٦

وقال ابن كثير حول قوله تعالى : « أو تهوى به الريح فى مكان سحيق » (أى بعيد مهلك لمن هوى فيه ، ولهذا جاء فى حديث البراء « أن الكافر إذا توفته ملائكة الموت وصعدوا بروحه إلى السماء فلا تفتح له أبواب السماء بل تطرح روحه من هناك ثم قرأ هذه الآية)[1] .

وهكذا يشترك الريح فى تصوير مدرك أمام أنظار الناس صورة من هلاك المشركين سواء فى دنياهم التى يعيشونها ، وذلك بالإضطراب والقلق والفزع والخوف الدائم ، تتقاذفهم الأهواء ، والأفكار البالية التى تمليها عليهم الشياطين .. فتهوى بهم من قمة السمو والطمأنية والمــدد الموصول بالله الواحد ، إلى دركات الظلم والظلمات والجهل والإنحطاط ، والتمزق والضياع ، كما يفعل الطير المفترس بفريسته ، أو كما تفعل الريح العاصفة بروح المشرك . .

وإذا كان هذا فى دنياه فعند موته عذاب أليم ، وكذا فى آخرته ، كل كل ذلك جزاء شركه وكفره . .

وفى معنى الشرك : جاء فى كتب اللغة يقال (.. وأشرك بالله : جعل شريكا فى ملكه ، تعالى الله عن ذلك .. والشرك : أن يجعل الله شريكا فى ربوبيته تعالى الله عن الشركاء والأنداد .. وقال أبو العباس فى قوله تعالى « والذين هم مشركون » معناه : الذين هم صاروا مشركين بطاعتهم للشيطان وليس المعنى أنهم آمنوا بالله وأشركوا بالشيطان ، ولكن عبــدوا الله وعبدوا معه الشيطان ، فصاروا بذلك مشركين)[2] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢١٩/٣ ، والحديث بطوله فى الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى ٢٢٨/٤ وعزاه إلى أبى داود وأحمد ، واللفظ لأحمد فى مسنده ، ط وزارة الأوقاف .

(٢) انظر : لسان العرب ، ابن منظور ٢٢٤٩/٤ (بتصرف) .

ومن العجيب أن الشيطان الذى أغوى هؤلاء بالشرك ، وأخرجهم عن فطرتهم التى فطرهم الله تعالى عليها ، وضلل بهم ، وذهب بهم فى مجاهيل الشرك كل مذهب ، هذا الشيطان يوم انقضاء الأمر — يوم القيامة — يتبرأ تماما ممن أوقعهم فى شراك الشرك وهم فى أمس الحاجة — حينئذ — لمن يأخذ بأيديهم يقول الله تبـــارك وتعالى : « وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتـكم فأخلفتـكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتـكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى إنى كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم »[١] .

قال القرطبى : (قال الحسن : يقف ابليس يوم القيامة خطيبا فى جهنم على منبر من نار يسمعه الخلائق جميعاً ، ومعنى « لما قضى الأمر » أى حصل أهل الجنة فى الجنة ، وأهل النار فى النار)[٢] .

وهناك مشاهد قرآنية كثيرة قد شنعت على الشرك والمشركين ، لما خرجوا عن فطرتهم وعاندوها .. كما بينت مدى العذاب النفسى والبدنى الذى يعانون منهما ، كما وضحت أن هذا العذاب دائم متصل سواء فى دنياهم أم فى أخراهم أم فى مرحلة انتقالهم من هذه لتلك وأذكر منها على سبيل لا الحصر صورا من هذه المعاناه والمأساة لهؤلاء المشركين ، يقول تبارك وتعالى : « سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين »[٣] .

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٢٢
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٤/٣٦٩٣
(٣) سورة آل عمران الآية ١٥١

وهذه الآية توضح :

— مدى الرعب، والتمزق ، والقلق، والإكتئاب ، والأرق والهم والغم، والفزع، والأحلام المرعبة، والجبن، الخ فكلمة الرعب تتضمن كل هذه المعانى وزيادة[1] ، كل هذا فى حياتهم ومعيشتهم فى الحياة الدنيوية وبعضها — أى بعض هذه الأمراض — كفيل بالقضاء على صاحبها .

— وتوضح المصير المؤلم، ومثوى هؤلاء فى نهاية المطاف ، وهو مصير لانستطيع وصفه ، من شدة ما فيه من العذاب المهين .

— وتوضح كذلك أن المشرك والكافر والظالم مصيرهم واحد ، وكما عاش المشرك حياته ، يعيش الكافر والظالم الحياة نفسها ، وإن النصيب الأكبر للمشرك — كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

ويقول تبارك وتعالى : « إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن شاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيداً ، إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً ، لعنه الله وقال لأتخذن من من عبادك نصيباً مفروضا ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا ، يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ، أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا »[2] .

وفى هذا المشهد القرآنى، وضح لنا الله تبارك وتعالى مدى المعاناة التى يعانى منها المشرك، ومدى السيطرة، الشيطانية التى تلبس بها ، ومدى انقياده لعبثها ، كذلك مدى التخبط والضياع والحيرة ، كما ذكر كذلك

---

(١) انظر : معنى الرعب فى لسان العرب ٣/١٦٦٧

(٢) سورة النساء الآيات من ١١٦ : ١٢١

المصير المفزع لمن أشرك الله تعالى ، وأنه لن تناله رحمة الله بحال ولنتناول هنا فقط بعض معانى لفظه « ضل » .

فقد جاء فى لسان العرب (.. ضل عن الطريق إذا جار وإذا حار .. وضل الناس إذا ضل عنه حفظ الشيء .. والمضل السراب ، وضل الشيء يضل ضلال : ضاع .. ووقع فى واد تضلل أى الباطل .. وأرض مضلة : يضل فيها ولا يهتدى فيها للطريق ورجل مضلل : لا يوفق لخير أى ضال جدا .. وضل الشيء يضل ضلالا : أى ضاع وهلك ، والإسم الضل ، ومنه قولهم : فلان ضل بن ضل ، أى منهمك فى الضلال ، وقيل هو الذى لا يعرف أبوه ، وقيل هو الذى لا خير فيه[1] .

وهكذا احتوت هذه اللفظة من معانى كثيرة ندرك من خلالها مدى الصراع النفسى والبدنى طوال مشوار حياتهم ، كل ذلك جزاء شركهم مع أن معالم التوحيد مبثوثة فى كون الله تعالى ، وقد جاءهم النذير ووضح لهم خطورة الموقف ، وبين لهم بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة نقاء أصل الفطرة ، لكن الهوى ، واشتعال نار الحقد فى أكبادهم على الإسلام ورسوله جعلهم يضلون طريق الفطر السوية ..

وصاروا بعد ذلك يعيثون فى الأرض فسادا ، ويهلكون الحرث والنسل ، وأصبحوا مصدر الشرور والخراب والحروب ، وسفك الدماء ، والقلاقل والقلق الذى تعانى منه البشرية فى كل عصر وصقع .. وهناك آيات قرآنية كثيرة ، وأحاديث نبوية شريفة توضح مدى العذاب المعنوى والبدنى للمشركين سواء فى حياتهم الدنيوية أم الأخروية أشد وأنكى وأفظع مما سبق ، وهو سهل التناول لمن شاء ..

---

(١) انظر : لسان العرب ، ابن منظور ٤/٢٦٠١ وما بعدها .

الموضوع السابع : الريح وعاد قوم سيدنا هود :

مقـــدمة :

أتناول فى هذه المقدمة عدة نقاط قبل التعرض للريح وقوم هود عليه السلام .

النقطة الأولى : من هم قوم عاد :

قبيلة عاد هم قوم هود عليه السلام ، وهم من أقدم الأمم وجودا وآثار فى الأرض ، كما أنهم كانوا أشد أهل زمانهم فى الخلقة والشدة والبطش . وكانوا عربا جفاة كافرين عتاة متمردين فى عبادة الأصنام ، وكانوا فى رغد من العيش ، ومن أشد الناس فسادا فى الأرض .. وقد أرسل الله تعالى إليهم سيدنا هود عليه الصلاة والسلام ، يدعوهم إلى نبذ عبادة الأوثان ويأمرهم بعبادة الرحمن ، وساق لهم من الأدلة والبراهين على ذلك ، فما زادهم ذلك إلا عنادا وسخرية واستهزاءا إلى أن تأذن الله تعالى بهلاكهم بالريح كما سيأتى بيان ذلك إن شاء الله تعالى ..

النقطة الثانية : أماكن تواجدهم :

لم يأت ذكر لقوم عاد فى الكتب السابقة ، ولا ذكر لنبى عاد ، كما ذكر النجار[1] .. ولم يذكرهم بالتفصيل إلا القرآن الكريم .. وقد جاء فيه سورة تسمى بالأحقاف ، وهو المكان أو الموقع الذى كانوا يقيمون فيه ويسكنونه ، وجاء فى هذه السورة قوله تعالى « واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم »[2] .

---

(1) انظر : قصص الأنبياء ، الأستاذ : عبد الوهاب النجار ص ٦٩ ، ط النصر ١٣٥٥ هـ

(2) سورة الأحقاف الآية ٢١

ففي الآية توضيح للموقع الجغرافي الذي كانوا فيه ، والأحقاف : جمع حقف ، وهو الجبل من الرمل .. أو الجبل والغار ، وهو واد بحضرموت..

وقال قتادة : ذكر لنا أن عادا كانوا حيا باليمن أهل رمل مشرفين على البحر يقال لها الشحر[1] .

وقال عبد الوهاب النجار (كانت مساكن عاد في أرض الأحقاف ، وهي تقع في شمال حضرموت ، وفي شمالها الربع الخالي ، وفي شرقها عمان ، وموضع بلادهم اليوم رمال ليس بها أنيس بعد ذلك العمران والنعيم المقيم ، ولم يتعرض أحد من الأوربيين الباحثين والمنقبين إلى الكشف عن بلادهم ، والتنقيب في أرضهم ، ولعل تحت الرمال من الثروة العلمية ما لو كشف لكان عظيم القيمة في عالم الآثار ، وأبان عن مدينة عظيمة مطمورة تحت الكثبان[2] ، وقد أخبرني السيد عبد الرحمن بن أحمد بن عمر بن يحيى العلوي من أهل حضرموت : أنه قام في جماعة إلى إحدى المدن البائدة في شمال حضرموت ، ونقب فيها وعثر على بعض الآنيـــة من المرمر عليها كتابة بالخط المسماري ، ثم ترك التنقيب لمضايقة البدو له ، وأثقال كاهله بالمطالب المالية)[3] .

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ٤/١٦٠

(٢) الإحتمال الكبير لو تم هذا فلن يجدوا مدينة مطمورة ، لأن مساكنهم قد أرسل الله تعالى عليها الريح فدمرتها تدميرا ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى ، لكن قد يجدوا بقايا متناثرة .

(٣) قصص الأنبياء ص ٧١

النقطة الثالثة : زمانهم :

كان زمن تواجد قوم هود بعد قوم سيدنا نوح ، وقبل قوم سيدنا صالح .. ويرشدنا إلى ذلك ما جاء فى الذكر الحكيم .. وكان من تذكير سيدنا هود لهؤلاء قوله كما حكى القرآن الكريم «أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فأذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون»[1] .

وقد قال ابن كثير ، وهذا القول يؤكد ما ذهبت إليه عن زمانهم (أن عادا وهم عاد الأولى كانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان)[2] يقصد بعد طوفان نوح عليه الصلاة والسلام . أما كونهم قبل ثمود فعند تذكير سيدنا صالح لقومه ثمود قال لهم ، كما حكاه القرآن المجيد «واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين»[3] .

النقطة الرابعة : عبادتهم :

سبق القول — قريبا — أن عادا كانوا أول من عبد الأصنام بعد طوفان نوح عليه السلام ، ولقد وضح القرآن العظيم عبادتهم وموقفهم وما ذكرهم وحذرهم منه سيدنا هود عليه الصلاة والسلام ، من ذلك قوله

---

(١) سورة الأعراف الآية ٦٩

(٢) البداية والنهاية لإبن كثير ١٣٩/١ ، ط دار الغد .

(٣) سورة الأعراف الآية ٧٤

تعالى « قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك فى سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين »[1] وأيضا حكى القرآن الكريم قولهم « قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين »[2] . وأيضا « قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين . إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إنى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون »[3] وقوله تعالى « وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد . وأتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود »[4] وكذلك قوله تعالى عنهم « وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون ويشرب مما تشربون . ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذاً لخاسرون . أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون . هيهات هيهات لما توعدون . إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وما نحن بمبعوثين . إن هو إلا رجل إفترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين »[5] . وأيضا قوله تعالى عنهم « فأما عاد ما استكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون »[6] إلى غير ذلك من الآيات التى

---

(١) سورة الأعراف الآية ٦٦
(٢) « « « ٧٠
(٣) « هود الآيتان ٥٣ ، ٥٤
(٤) « « « ٥٨ ، ٥٩
(٥) « المؤمنون الآيات من ٣٤ : ٣٧
(٦) « فصلت الآية ١٥

ذكرت عنادتهم، وعتوهم واستكبارهم، وظلمهم، وفسادهم، وإنكارهم الرسول والرسالة، ويوم القيامة إلخ .

ويلاحظ فى النصوص السابقة :

إنغماسهم فى العتوا والطغيان، والشرك والكفر والسفه . .

فقد لصقوا زوراً وبهتانـــ تهما لسيدنا هو عليه السلام، فقذفوه : بالسفه والكذب وأن آلهتهم مسته بالشرور «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا» . . وتمسكوا بل وتشبثوا بعبادة الأصنام آلهتهم المزعومة . . ولم يستمعوا ولم ينصتوا لكلام نبيهم ، ويستجيبوا له : لا من نذره ولا من ترغيبه وبشاراته، ولا من تذكيره إياهم بنعم الله تعالى عليهم، ولا بالأقوام السابقة ومصيرهم . واتبعوا الهوى والشيطان.. وكل جبار عنيد قال القرطبى (اتبع سقاطهم رؤساءهم، والجبار : المتكبر والعنيد : الطاغى الذى لا يقبل الحق ولا يذعن له)[1] .

وعصوا رسل الله وذلك من خلال قوله تعالى «وعصوا رسله» قال القرطبى (يعنى هودا وحده، لأنه لم يرسل إليهم من الرسل سواه . . . وإنما جمع هذا لأن من كذب رسولا واحدا فقد كفر بجميع الرسل، وقيل : عصوا هودا والرسل قبله ، وكانوا بحيث لو أرسل إليهم، ألف رسول لجحدوا الكل)[2] ، وهذا قمة التكبر والتجبر . . . ومن ذلك أيضا : تحذير الملأ منهم قومهم من إتباع هود، وكذلك : إنكارهم البعث وما وراءه من حساب وجزاء . . وقـــد وصلوا بجبروتهم وطغيانهم وعتوهم وغرورهم أن قالوا «من أشد منا قوة» ونسوا أو تناسوا قوة ملك الملوك المنتقم القهار .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣٢٧٣/٤

(٢) المرجع السابق ٣٢٧٢/٤، ٧٣

وقد سبق كل هذا العظة والإعتبار حتى لا يقع فرد أو قوم فيما وقع فيه قوم هود . . وسيأتى ما أحل بهم من جراء هذا . إن شاء الله تعالى .

النقطة الخامسة : سيدنا هود عليه السلام :

هو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام . وقيل : هود هو عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ، ويلاحظ أن نسبه فى تلك الروايتين واحد ، لكن فى الثانية اسمه عابر ، والقرآن الكريم يذكره باسمه هود ، وهو الذى يجب التمسك به ، والخلاف فى النسب الثالث الذى ذكره المؤرخون وهو : هود بن عبد الله بن رباح الجارود بن عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام . . وكان سيدنا هود من قبيلة يقال لهم عاد ، وكانوا عربا[1] .

وفى صحيح ابن حبان عن أبى ذر فى حديثه الطويل فى ذكر الأنبياء والمرسلين قال فيه رسول الله ﷺ « . . . منهم أربعة من العرب : هود ، وصالح ، وشعيب ، ونبيك يا أبا ذر »[2] . فسيدنا هود على ذلك نبى عربى . . ويطلق على العرب الذين كانوا قبل سيدنا إسماعيل عليه الصلاة والسلام : العرب العاربة ، وهم قبائل كثيرة منهم : عاد وثمود ، وجرهم ،

---

(١) قصص الأنبياء لإبن كثير ص ٩٧ ، دار الأنوار المحمدية ، وانظر له : البداية والنهاية ١٣٨/١ ، وقصص الأنبياء للنجار ص ٧٠ ، ٧١ ومال فيه إلى النسب الأخير ، وقال هو أقرب إلى القبول ، وبدلا من الجارود سماه الخلود .

(٢) البداية والنهاية لإبن كثير ١٢٠/١ دار الفكر ، وعزاه إلى ابن حبان .

وطسم ، وجديس ، وأميم ، ومدين : وعملاق ، وجاسم ، وقحطان ، وبنو يقطن وغيرهم[١] .

ويقال إن هودا عليه السلام أول من تكلم بالغة العربية . . ويقال إن أول من تكلم بها نوح عليه السلام ، وقيل : أبونا آدم عليه السلام هو أول من تكلم العربية وقد رجح ابن كثير القول الآخير[٢] .

وقال كذلك إن إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام أول من تكلم بالعربية الفصيحة البليغة[٣] .. وكان سيدنا هود من قبيلة يقال لها الخلود .. وكان من أوسطهم نسبا وحسبا .. وأصبحهم وجها . وكان فى مثل أجسادهم أبيض بادى العنفقة .. طويل اللحية[٤] .. والمهم هنا : أنه نبى ورسول من عند الله تعالى إلى قومه .

أسلوب سيدنا هود فى الدعوة إلى الله عز وجل :

أتناول هنا بعض مشاهد القرآن الكريم ، والتى تتناول أسلوب سيدنا هو فى دعوته لقومه ، من تذكيرهم بنعم الله تبارك و تعالى عليهم ، ومغبة ظلمهم وكفرهم وطغيانهم ، وإعراضهم عنه . ولكى لا أطيل اذكر له بعض ما جاء فى الذكر الحكيم من أسلوبه ، قال تعالى «وإلى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون. قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك فى سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين ، قال ياقوم ليس

---

(١) انظر : السيرة النبوية لابن هشام ١/٨ ، مطبعة حيدو ، وقصص الأنبياء لابن كثير ص ٩٨

(٢) وهذا يدل على آصلة اللغة العربية ، وأنها ام اللغات وأقدمها

(٣) انظر : قصص الأنبياء لإبن كثير ص ٩٨

(٤) انظر : قصص الأنبياء للنجار ص٧٢ نقلا من تفسير المنار ٨/٤٩٧

في سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين ، أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون »[1] .

ومن يتدبر هذا المشهد القرآني يجده يتلألأ نورا وضياء ينفع الناس عامة ، والدعوة والدعاة خاصة . . ونقتبس من فقه المشهد للدعوة عدة قبسات نقف مليا عندها .

— أن سيدنا هودا أخو القوم ، فهو منهم . . وليس غريبا عليهم ، يعرفون أصله وحسبه ونسبه ، وصدقه وأمانته ، فقد ولد بينهم وعاش ، وعاشرهم وعاشروه ، وعاملهم وعاملوه ، والقرآن يقول « أخاهم هودا » وكلمة الأخ توحي بالصحبة والمصاحبة والصداقة ، والحرص ، قال الزجاج قيل في الأنبياء أخوهم ، وإن كانوا كفرة — يعني أقوامهم — لأنه إنما يعني أنه قد أتاهم بشر مثلهم من ولد أبيهم آدم عليه الصلاة والسلام ، وهو أحج ، وجائز أن يكون أخاهم لأنه من قومهم ، فيكون أفهم لهم بأن يأخذوه عن رجل منهم[2] .

— ولما كان هود أخاهم ، وحريص على إيصال الخير لهم ، فقد ناداهم بأعذب أسلوب ، وأرق كلمة ، لعلها تلمس أوتار حسهم ، ويقرع منافذ عقولهم ، « ياقوم » نداء الغيور عليهم ، والخائف على أن يفوتهم نور الهدى الحق . . نداء رقيق ندي لطيف ، سهل واضح طيب . .

وفي القرآن الكريم نداءات كثيرة وكلها تؤكد على معنى رحمة الله تعالى

---

(١) سورة الأعراف الآيات من ٦٥ — ٦٩

(٢) انظر : لسان العرب ١ /٤٠

بعباده بكل أقسامهم ؛ حتى الكفار منهم وأهل الكتاب لعل النور ينطلق إلى قلوبهم ، فيرحمهم الله من عقابه . .

ففي القرآن الكريم « يا أيها النبي » ، « يا أيها الرسول » ، يا أيها الذين آمنوا » ، « يا أهل الكتاب » ، « يا أيها الكافرون » يا أيها الناس ، يا بني آدم إلخ .

وفي النداء تنبيه ، ويشعر بالإهتمام ، والإعلام ، والظهور .

— وعند نداء هود لقومه .. ألقى على مسامعهم الرسالة المنوط بتوصيلها إياهم ، وهي بالتحديد . توحيد الله جل ذكره ، ونبذ عبادة كل ما سواه ، وهي دعوة جميع الأنبياء والرسل وستأتي الإشارة إلى ذلك — قريبا — إن شاء الله تعالى .

— مع كل الحرص على قومه ، ومع هذا الأسلوب السامي الجليل في الدعوة ، واللين في مخاطبتهم ، والخوف عليهم من كل الشرور والآفات الضارة . . مع كل هذا فإن الملأ الكفرة منهم ، نابذوه العداء ، وأوجعوه في التهم ، وسلقته ألسنتهم .

بأقذى الألفاظ وهو منها بريء . وكان عليهم التسليم والتصديق بدعوته أو على الأقل يكون ردهم ردا يغاير ما نسبوه إليه لكنهم كانوا كافرين .

— معنى الكفر : والكفر هو : الجحود لأنعم الله تعالى ، وهو مشتق من الستر . كتب عبد الملك إلى سعيد بن جبير يسأله عن الكفر ، فقال : الكفر على وجوه : فكفر هو : شرك يتخذ مع الله إلها آخر . وكفر بكتاب الله ورسوله ، و كفر بادعاء ولد لله . وكفر مدعي الإسلام ، وهو أن يعمل أعمالا بغير ما أنزل الله ، ويسعى في الأرض فسادا . . وقال ابن منظور ، وأصل الكفر : تغطية تستهلكه . وأن الكافر لما دعاه الله تعالى إلى توحيده فقد دعاه إلى نعمه ، فلما أبى ما دعاه إليه من توحيده كان كافرا نعمة الله ، أي مطغيا لها بإبائه لها عنه . . وقال الأزهري : ونعم الله آياته

الدالة على توحيده . والنعم التى سترها الكافر : هى الآيات التى أبانها لذوى التمييز أن خالقها واحد لا شريك له . وكذلك إرساله الرسل بالآيات المعجزة ، والكتب المنزلة ، والبراهين الواضحة ، نعمة منه ظاهرة ، فمن لم يصدق بها وردها فقد كفر نعمة الله ، أى سترها وحجبها عن نفسه[١] .

والقرآن الكريم قد شن حملة كبيرة على الكفر والكافرين ، وشنع عليهم سوء عقيدتهم ، ووصفهم بصفات يأبى أى إنسان لديه مسحة عقل أن يكون منهم أو يقترب منهم أو من عقيدتهم أو فعالهم . .

فقد نعتهم بأخس الصفات وأرذلها وعلى سبيل المثال لا الحصر ، فهم مجرمون . . فسقة . . شر الدواب . . ظلمه . . عليهم غضب من الله ، متكبرون . . لهم عذاب عظيم . . يعيشون فى ظلمات الجهالة ، قائدهم الشيطان . . قلوبهم طبع الله عليها . . وكذا سمعهم وأبصارهم يكيدون للإسلام والمسلمين . . كذابون لاعهد لهم . . لهم عذاب مهين . . مهزومون . . جاحدون . . يعيشون ودنياهم وأخراهم فى حسرة وندم . . والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد الصفات السابقة موسومون بها وزيادة :

نماذج :

وأسوق هنا بعض الآيات التى نعتتهم كامثلة ، ومن أراد المزيد فليقرأ القرآن الكريم ، وكذا أحاديث رسول الله ﷺ وليطالع تاريخهم الأسود .

يقول الله تعالى «ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون »[٢] .

---

(١) انظر : المرجع السابق ٣٨٩٧/٥

(٢) سورة الأنفال الآيات ٧ ، ٨

ويقول جل ذكره «كذلك يضل الله الكافرين ، ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ، أدخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين»[1] .

ويقول تباركت أسماؤه «إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا . فمهل الكافرين أمهلهم رويدا»[2] .

ويقول جل ثناؤه «ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون»[3] .

ويقول تبارك وتعالى «فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين . الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون»[4] .

ويقول جل جلاله «إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون»[5] .

— واجه الأنبياء والمرسلون هذه الجحافل من الطغمة الباغية ، والطغاة العتاه .. وسيدنا هود واحد من رسل الله تعالى ، وكان رد الكفرة عليه اتهامه بالسفاهة ، وهى لفظة أوسبة تستفز الحليم ، حيث من معناها : الخفة في الحلم وضعف العقل ، والجهل ، والحمق ، سواء في الأقوال أو الأفعال ، وأصل السفه : الخفة ، من قولهم : تسفهت الرياح الشيء إذا استخفته فحركته[6] .. إلا أن سيدنا هودا لم يرد عليهم بمثل قولهم ، ولم يشغل

---

(١) سورة غافر الآيات ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦
(٢) سورة طارق الآيات الاخيرة منها
(٣) سورة البقرة الآية ٩٩
(٤) سورة الإعراف الآيتان ٤٤ ، ٤٥
(٥) سورة الانفال الآيتان ٥٥ ، ٥٦
(٦) انظر : لسان العرب ٢٠٣٢/٣

نفسه بذلك ، ويضيع معالم الدعوة فى جدال لا جدوى منه .. لأن هذا من مقصودهم : لى أعناق الداعية .. وجبذة إلى طريق آخر غير طريق دعوته . وانشغاله بالدفاع عن نفسه ، وقذف الخصوم بأشنع مما قالوا .. وهنا تذهب دعوته فى ضروب متعرجه ، وسراديب مخيفة ، وتصبح معالم الدعوة غير واضحة ، وطريق الوصول إلى الهدف صعب المنال . فسيدنا هود لم يقل لهم مثلا : أنتم أسفه خلق الله تعالى على أرضه ، وإن قالها فهو محق ، والحق كله معه ، وهو صادق فى قوله لهم ، وهم فجرة فسقه كفره كذابون فى قولتهم له .. وهذا الموقف الرفيع النبيل السامق يذكرنا بمواقف كثيرة من جميع رسل الله تعالى ، وعلى سبيل المثال سيدنا موسى عليه وعلى جميع اخوانه من الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأزكى السلام مع فرعون وقومه ، ففى الذكر الحكيم « قال فرعون وما رب العالمين ، قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم مؤمنين ، قال لمن حوله ألا تسمعون . قال ربكم ورب آبائكم الأولين ، قال إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون . قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون »[1] فأنت واجد هنا أن سيدنا موسى لم يلتفت إلى التهم التى وجهها فرعون له ، وهى تهم كما تراها فى المشهد القرآنى قاسية ، لكنه استمر فى إيصال الدعوة ، ولم يعبأ بكلام الطاغيه .. وسيدنا هود على الضرب نفسه يسير ، فقد نفى عن نفسه فقط التهمة ، حتى تكون الدعوة صادرة من عاقل فطن ، وهم أى الأنبياء ، قد اصطفاهم الله تعالى من صفوة خلقه ، وأعدهم ، وصنعهم على عينه ، واختارهم من بين سائر الناس ، فهم الصفوة الممتازة ، وهم قمة فى العقل والفطنة ، والذكاء ، قال لهم سيدنا هود « يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين » إن خصوم الدعوة يودون ، بل يبذلون قصارى جهدهم فى إنشاء معارك جانبية هامشية ينصبونها أمام الدعوة الدعاة .. ويحاولون بشتى الأساليب جذبهم من ميدان الدعوة

---

(١) سورة الشعراء الآيات من ٢٣ ، ٢٨

الحقيق وإذا فشلوا صبوا عليهم اللعنات وألصقوا بهم التهم حتى يتفرغوا لنفي هذه التهم ، فإذا كان الداعية لديه الوعي الكامل بما يحاك ضد الدعوة ، قفذ من على هذه التهم ، ولم يعبأ بها ، لأن له دراية كاملة بما أصاب أفضل الناس من جراء ذلك .. وأما إذا كان الداعية ليس لديه الدراية والدراسة المتعمقة لسيرة الأنبياء ومواقف الخصوم منهم أو كان ضعيفاً أمام المغريات ، أو يأبى أن تلصق التهمة به ، وإن أصابت كبد الإسلام ، فإن أمثال هؤلاء الدعاة يسقطون من أول لحظة ومن أول سهم يوجه إليهم ، وتخسر الدعوة بذلك رجالا كثيرا ، وتبقى الساحة مرتعا للكفر والكفرة يعيثون في الأرض فسادا ، ويهلكون الحرث والنسل .

— وسيدنا هود عليه الصلاة والسلام يبغي الخير لقومه ، ويحب من أعماق فؤاده نجاتهم فقال لهم « أنا لكم ناصح أمين » والنصح يقال : نصح الشيء : خلص ، والناصح : الخالص من العسل وغيره ، وكل شيء خلص فقد نصح .. والنصح نقيض الغش ..

والنصيحة هي إرادة الخير للمنصوح له ... ورجل ناصح الجيب : أي نقي الصدر ، ناصح القلب لا غش فيه ... والتوبة النصوح : أي الخالصة وهي التي لا يعاود بعد الذنب[1] .. فسيدنا هود رغم ما آثاروه نحوه إلا أنه لم يبالي بمقولاتهم ، وبذل لهم النصح ، ويريد لهم كل الخير ، وبذل في ذلك قصارى جهده حتى تصل إليهم رسالات ربه.. نقية صافية خالصة دون أدنى شائبة مهما قالوا وفعلوا .. فصاحب الرسالة أنبل من أن يترك رسالته ، ويدخل مع هؤلاء في لجاجة فارغة .. لا طائل ولا نفع من ورائها .

---

(١) أنظر لسان العرب ١/١٤٠

أما الأمين فهو : عطاء الأمن والأمان للغير ، وهو ضد إثارة الخوف والغش والخيانة والغدر بالغير .. والأمين هو المؤتمن على ما لديه من أمانات وهو أيضا . المأمون ، يأمنه الخلق من الغوائل وهو الثقة الذى يثق الناس فى أقواله وأفعاله .. وهو . المؤتمن على أسرار الناس وحاجاتهم .. وهو ، الذى يتخذه الناس أمينا حافظا ثقة .. وكذا الصادق الصدوق القوى[1] .. فهذه المعانى السامقة يندرج تحتها الأمين ، فسيدنا هود عليه السلام « ناصح أمين » قال ابن كثير قوله تعالى : « أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين » وهذه هى الصفات التى يتصف بها الرسل : البلاغ والنصح والأمانة)[2] .

— وقول سيدنا هود لقومه « أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم .. » لنأخذ من النص الحكيم هذا قوله « لينذركم » ولنطوف قليلا حول النذارة .

الإنذار : أصل الإنذار : الإعلام والإبلاغ ، يقال : أنذرته إنذارا إذا أعلمته .. والنذير : المعلم ، والمخوف ، والمحذر .. ومن أمثال العرب قد أعذر من أنذر ، أى من أعلمك أنه يعاقبك على المكروه منك فيما يستقبله ، ثم أتيت المكروه فعاقبك ، فقد جعل لنفسه عذرا يكف به لائمة النـــاس عنه .. ومن أقوالهم أيضا : أنا النذير العريان ، قال أبو طالب : إنما قالوا : أنا النذير العريان لأن الرجل إذا رأى الغارة قد فجئتهم ، وأراد إنذار قومه ، تجرد من ثيابه ، وأشار بها ليعلم أن قد فجئتهم الغارة ، ثم صار مثلا لكل شىء تخاف مفاجأته .. هذا والإنذار

---

(١) المرجع السابق .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢/٢٢٤

مصدر، والنذير الإسم، والجمع نذر[1] ..

وعلى هذا فالإنذار : إعلام النذير للناس بعواقب الأمور، وتحذيرهم من مغبة مخالفته .

والإنذار الإسلامي له قواعد أساسية ، ذكرها الدكتور / يحيي هاشم بتوسع اقتبس من مقاله نبذة عنها ، وفيها الكفاية لتوضيح الإنذار، والمنذر ، وما ينذر به ..

القاعدة الأولى : في طبيعة الإنذار : وذلك إذا تكاثرت الإنذرات كان للأكبر أن يلغي الأصغر فإذا قال قائل : إذا لم تخرج من بيتك اليوم تعرضت للحرمان من الرزق ، ثم قال لك آخر : إذا خرجت اليوم تعرضت لمضايقات المرور ، كان الإنذار الأول هو الإنذار الأكبر المتبوع وكان الثاني هو الأصغر المتروك .. وهنا نجد في رسالة الرسل أن الإنذار الذي جاءوا به هو الإنذار الأكبر على وجه الإطلاق ، فهو لا يهددوك بالحرمان من متعة ، ولا من منصب .. ولا بالحرمان من نصر، ولكنه يضع أمامك التهديد بالعذاب الخالد الأبدي ، ويعدك بالنعيم الأبدي ، ويضاف إلى طبيعة الإنذار أن يكون المتحرز منه أعظم من المتحرز به ..

القاعدة الثانية : في مصدر الإنذار ، ولا يستقيم الإنذار ، إذا جاء من منذر صغير ضعيف ، ولا يعلم مدى فاعلية إنذاره ، أو يعلم أن إنذاره لا قيمة له ولا ثمرة من ورائه ، ثم ساق الدكتور مثلا لذلك فقال : إذا قام مضحك الملك في مجلس الملك ليقول له : إذا لم تعطني درهما خلعتك ، كان ذلك أجدر به أن يكون سببا لإشاعة المرح والسخرية ،

(1) انظر لسان العرب ٦/٤٣٩٠.

لا أن يكون سببا للازعاج وتهيج الخواطر ، فهو إذن إنذار ساقط منذ اللحظة الأولى ..

وهنا نجد فى رسالة الرسل : أن الإنذار الذى أرسلوا به لم يكن هو الإنذار الأكبر فحسب ، ولكنه جاء صادرا من المنذر الأكبر .. لأن الذى أصدر الإنذار موصوف بأنه مالك الملك .. وهو : العالم ، القادر ، المريد ، السميع ، البصير ، المتكلم ، الخالق ، المدبر ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، الرحمن ، الرحيم ، الغفار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، القوى ، المتين ، الولى ، الحميد ، الواحد ، الصمد ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، ذو الجلال والإكرام ، وذو الأسماء الحسنى .

إذن الإنذار صادر من : الله أكبر على الإطلاق ..

ولك أن تقف طويلا متدبرا خاشعا أمام النص القرآنى « قم فأنذر وربك فكبر » وهو من رابع سورة فى القرآن الحكيم نزلت على سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ ، سورة المدثر .

القاعدة الثالثة : فى مورد الإنذار .. بمعنى مستقبل الإنذار ..

يقول الدكتور ولا يستقيم أمر الإنذار بقاعدتيه السابقتين إلا بالنظر .. إلى مورد الإنذار : ذلك أنه إذا جاءك الإنذار الكبير من المنذر الكبير ، ليطلب منك — مورد الإنذار — أن تقوم بعمل لا تملك منه شيئاً ، لأنه لا يتفق مع فطرتك ، كأن يطلب منك الملك — مثلا — أن تحمل عشرة أطنان فوق كتفك ، وإلا أعدمك ، فهذا إنذار ساقط ، وأجدر به أن يكون حكما مبرما بإعدامك منذ صدور الانذار ، وليس عملا مطلوبا منك القيام به ..

وهنا نجد فى رسالة الرسل .. أنهم جاءوا إليك بإنذاراتهم ليطلبوا منك ما يتوافق مع فطرتك ، ومع قدراتك ، وما يسمو بك إلى العلياء واقرأ « فطرة الله التى فطر الناس عليها » ، « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » « لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها » ، « ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » ، « ليخرجهم من الظلمات إلى النور » إلى آخر مقاصد الرسالات عامة ، ومقاصد التشريع والأحكام فى الأمر أو النهى خاصة ، وكذلك تسمو بالمنذر : وجدانا ، وأخلاقا ، وعقلا . وجسدا ..

القاعدة الرابعة : فى حامل الإنذار ، وذلك أنه — مثلا — إذا أرسل الملك إلى رعيته رسولا ينذرهم بعقاب من يصنع الخمر ، وكان الرسول هو صاحب المصنع ، كان الإنذار بالضرورة ساقطا ، لأنه يعنى أن الملك يهزل ، أو يجهل ..

وهنا نجد فى حاملو الإنذارات من المرسلين ، هم الصفوة[1] المختارة والممتازة ، وقد سبق بيان معنى الناصح الأمين ..

وذكر الشروط المعتبرة فيهم .. وهناك أمر آخر فى حامل الانذار وهو التطبيق العملى بكل دقة لما جاء به ، بل هو أوله إنسان يؤدى ذلك أمام من جاء لانذارهم « وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه » ومعلوم أن الرسل هم القدوة أمام أقوامهم ..

وقبل الإنتهاء من هذه النقطة أود الإشارة إلى أمر يتعلق بالنذارة .

---

(1) انظر : الكتاب التذكارى للمؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة والمؤتمر العاشر لمجمع البحوث الاسلامية القاهرة صفر ١٤٠٦ هـ مقال د/ يحيى هاشم حسن فرغل — عنوانه : موقع السيرة فى البناء الفلسفى للاسلام ص ٣٢٢ وما بعدها ، مع إضافات كثيرة من عندنا .

وهو : أن فى الذكر الحكيم آيات الإنذار أكثر من آيات البشارة ورودا . .

فقد جاءت مادة : الإنذار ومشتقاتها فى الذكر الحكيم حوالى مائة وثمانية وعشرين[1] . ومادة : بشر ، بمعنى البشارة حوالى : خمسة وأربعين[2] .

والحكمة فى ذلك كما يقول الدكتور / يحيى هاشم (إن منطق الإنذار أكثر إلحاما من منطق التبشير . فمن حق المكذبين أن يقولوا : إليكم عنا بجنتكم هذه . . ولكن أنى لهم أن يقولوا إليكم عنا بناركم ، وهى تقع على رءوسهم أرادوا أم لم يريدوا ، ومن هنا كان وقوع الضرر أكثر فعالية فى الرجوع إلى الله تعالى من وقوع الخير . وهذا ينعكس بالتالى على الإنذار والتبشير)[3]

ولعلنا نستطيع أن نضيف إلى ماسبق ، أن الرسل جاءوا إلى أقوام عتاة طغاة جبابرة . . سادوا أقوامهم بالذل والإستغلال والإستعلاء ، وقد توارثوا هذه الصفات الرذيلة الذميمة جيلا بعد جيل ، وظلوا على ظلمهم وكبريائهم عدة قرون ، فزين لهم الشيطان أنهم وحدهم الذين يستحقون الحياة بهذه الصورة ، وغيرهم عبيد لهم .. ولولا أنهم يستحقون هذه الحياة ما وصلت إليهم الدنيا وزخارفها مثل هؤلاء الناس إذا قدم لهم المنذر البشارة فسيكون على سخرية منهم ، وتلك العقول المتحجرة

---

(١) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، محمد فؤاد عبد الباقى ص ٦٩١ .
(٢) انظر : المرجع السابق ص ١١٩ .
(٣) الكتاب التذكارى للمؤتمر العالمى الرابع ص ٢٨٧ مرجع سابق .

لا تجدى معهم تلك البشارات ، فناسبهم النذر ، حتى تقرعهم من أعماقهم ، وتوقظهم من ثباتهم العميق العتيق . . والله تعالى فوق كل ذلك عليم خبير بعباده ، وما يصلح لإصلاحهم من النذر أو البشارة . .

ولعل هذا يفهم من ذكر القرآن الكريم لقوم سيدنا هود « قال الملأ » وهم كما قال ابن كثير (هم الجمهور والسادة والقادة منهم)[1] .

فناسب إنذار سيدنا هود لقومه ، ولما سيتضح فيما بعد مدى تجبرهم واستكبارهم ، وعتوهم ، وغرورهم إضافة لما سبق . . إلى آخر الصفات التى وسمهم القرآن الكريم بها . .

ومن أساليب الدعوة التى أنذر بها سيدنا هود قومه — بخلاف ما سبق — أسلوبين آخرين :

الأول : تذكيرهم وإنذارهم بالأمم السابقة ، وما أصاب المعاندين جزاء عنادهم ، وبخاصة قوم سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام ، « واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح » وهنا وقفتين :

الأولى : يفيد النص أن هودا وقومه كان وقتهم وزمانهم بعد زمان نوح وقومه .

الثانية : أن هودا اتخذ من مصير الأمم السابقة أسلوباً لدعوته وإنذاره ، فكما عاند قوم نوح نوحا وكان مصيرهم العذاب الأليم ، وليس قوم نوح بعيداً فى زمن وجودهم عن زمان قوم هود . . فليعتبر هؤلاء والعاقل من وعظ بغيره .. ودراسة التاريخ وأحداثه الحقيقية والواقعية .. تفيد الدعوة والداعية وكذا المدعوين . . سواء أكان تاريخ الصالحين أم الطالحين . .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٢٢٤ .

الأسلوب الثاني : نوع سيدنا هود أساليب دعوته ، وكذا نذره ، ليدخل على القوم كل مدخل ، ولا يبقى لهم بعد ذلك عذر بعد نذره .

فقد ذكرهم — بخلاف ما سبق — بنعم الله تعالى ورحمته وفضله عليهم فقد « زادهم فى الخلق بسطة » وستأتى الإشارة إلى ذلك .

وقوله كما جاء فى الذكر الحكيم « واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون . أمدكم بأنعام وبنين . وجنات وعيون »[1] .

ثـــم :

إن هم تابوا عن غيهم وبطشهم وكفرهم ، فقد وعدهم بأن « يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم »[2] . إلى غير ذلك من الخير والبركة والقوة والعزة ، والجزاء الأوفى فى الآخرة ، لمن آمن وعمل صالحاً ، ولم يتخذ نعم الله تعالى ، وسيلة للبطش والبطر .

والمقصود هنا : أن سيدنا هودا لم يترك وسيلة من وسائل الدعوة ولا أسلوباً من أساليبها إلا بينها ووضحها لقومه حتى إذا طغوا وبغوا ، دارت عليهم الدوائر — كما سيأتى إن شاء الله تعالى . .

القصة من أساليب الدعوة :

إن قصة هود مع قومه ، إحدى القصص القرآنى الذى يدعو الناس ويذكرهم ، وينذرهم ، وذلك بتأثيره النفسى والوجدانى فى عقلية الناس ، وجذب أفئدتهم إلى المنهاج الربانى . . وهو بعيد كل البعد عن الأساطير ، والأباطيل . وهو الحق والواقع . . ويعبر عنه القرآن الكريم بتعبيرات

(١) سورة الشعراء الآيات ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ .
(٢) سورة هود آية ٥٢ .

معجزة ، ويعيش المتلقى فى قلب أحداثها . . وقد ترد القصة الواحدة فى مواضع متعددة من الذكر الحكيم . . لكن هذا التكرار لا يتناول القصة الواحدة كلها ، إنما هو لبعض حلقاتها ، وتضاف فى موضع آخر حلقة جديدة ، تضيف جديداً فى القصة . ذاتها . . أما جسم القصة كله ، فلا يكرر إلا نادراً ، ولغرض خاص . . وحين يقرأ الإنسان هذه الحلقات المكررة .. ملاحظا السياق والمناسبة . سواء القبلية أم البعيدية ، يجدها مناسبة بالتمام والكمال فى اختيار الحلقة التى تعرض هنا أو تعرض هناك ، وفى طريقة عرضها كذلك . ويجب أن نذكر دائماً أن القرآن الكريم كتاب دعوة ، وأن التناسق بين حلقة من القصة التى تعرض والسياق الذى تعرض فيه هو الغرض المقدم ، وهذا يتوافر دائماً . ولا يخل بالسمة الجمالية الفنية إطلاقاً . . على أن هناك ما يشبه أن يكون نظاماً مقرراً فى عرض الحلقات المكررة من القصة الواحدة ، يتضح حين تقرأ بحسب ترتيب النزول — كما سيأتى فى عرض قصة إهلاك قوم عاد بالريح ، وقصة سيدنا سليمان عليه السلام مع الريح — فمعظم القصص بإشارة مقتضبة ، ثم تطول هذه الإشارات شيئاً فشيئاً ، ثم تعرض حلقات كبيرة تكون فى مجموعها جسم القصة . وقد تستمر الإشارات المقتضبة فيما بين عرض هذه الحلقات الكبيرة عند المناسبات . حتى إذا استوفت القصة حلقاتها ، عادت هذه الإشارات . .

وهناك خصائص كثيرة للقصة فى القرآن الكريم ليس هنا مجال ذكرها[1] . . لكن المهم معنا فى هذه العجالة أن نبرز بعض المرامى للقصة فى الذكر الحكيم .

---

(١) انظر : التصوير الفنى فى القرآن الكريم ، للشهيد سيد قطب ص ١٢٦ ، ط دار الشروق .

أغراض القصة فى القرآن الكريم :

لقد ساق الله تعالى القصص فى القرآن المجيد لتحقيق أهداف أساسية وبخاصة للدعوة إلى الله عز وجل ، وقد تجمع فى القصة القرآنية — تقريباً — كل الأغراض الإسلامية . وأتناول بإيجاز بعض هذه الأغراض :

(أ) إثبات حقيقة الوحى والرسالة .. « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن »(1) .

(ب) بيان أن الدين كله من عند الله رب العالمين من عهد سيدنا آدم أبو البشر إلى عهد سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

« إن الدين عند الله الإسلام »(2) .

(ح) أن الدين الذى هو من عند الله تبارك وتعالى كله موحد الأساس ، وتبعاً لهذا كانت ترد قصص كثيرة من الأنبياء مجتمعة مكرورة فيها العقيدة الصحيحة والأساسية . « لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره »(3) ، « وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره »(4) ، « وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره »(5) ، « وإلى مدين أخاهم

---

(1) سورة يوسف آية ٣ .
(2) سورة آل عمران آية ١٩ .
(3) سورة الأعراف آية ٥٩ .
(4) سورة الأعراف آية ٦٥ .
(5) سورة الأعراف آية ٧٣ .

شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره »[1] . فهذا الأساس — وهو التوحيد الخالص — يشترك فيه جميع الأنبياء والرسل .

(د) وكان من مرامى القصة فى القرآن الكريم بيان أن وسائل الدعوة للأنبياء متشابهة وأن استقبال قومهم لها كذلك متقاربة ومثال ذلك : فى شأن سيدنا نوح « لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم . قال الملأ من قومه إنا نراك فى ضلال مبين قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين »[2] .. وفى شأن سيدنا هود « وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون . قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك فى سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين . قال ياقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين »[3]

وواضح هنا التشابة بين الوسائل والاستقبال ، والتهم الباطلة التى وجهت إليهم .

(ه) ومن أهداف القصة بيان أن الله تبارك وتعالى ينصر أنبياءه فى النهاية ويهلك المكذبين — كما سيأتى مثال على ذلك من نصر الله تعالى لسيدنا هود وهلاك من كذبوه ، وكذلك نصر سيدنا محمد ﷺ بالريح فى غزوة الأحزاب مع الفارق بين هلاك قوم هود به وهزيمة مشركى مكة به . كل ذلك تثبيتاً لسيدنا محمد ﷺ .. وتأثيراً فى نفوس من يدعون إلى الإسلام من أخذ العبرة ، والإتعاظ بمصارع الملاحدة والكفار ، ومن يتأبى على شريعة الإسلام ، وفى الوقت ذاته أخذ العبرة من ثواب المسلمين من إجراء العمل الصالح ونصرهم .

---

(١) سورة الأعراف آية ٨٥
(٢) سورة الأعراف الآيات ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١
(٣) سورة الأعراف الآيات ٦٥ - ٦٧

(و) ومن أهداف القصة ، تنبيه أبناء آدم وتحذيرهم من غواية الشيطان ، وإبراز العداوة الخالدة ، والصراع الدائم بينه وبين بنى آدم ، وتحذير بقوة من الوقوع فى شباكه وسوسته ، كل فى سياق القصة ، ليكون أوقع فى النفس ..

(ز) وكان من أغراض القصة القرآنية — كذلك — إبراز قدرة الله تبارك وتعالى على المعجزات والخوارق — كما سيأتى كمثال — فى إرساله تعالى الريح فى شأن قوم سيدنا هود ، وفى شأن الريح مع سيدنا سليمان .. وأيضاً لإبراز نعم الله تعالى على عباده .. هذا وهناك أغراض كثيرة للقصة فى القرآن — سوى ما سلف — ليس هنا مجال تناولها[1] ..

وقد طال هذا التمهيد قليلا لأنه سيندرج تحته قصة سيدنا هود مع الريح وكذا قصة سيدنا سليمان مع الريح ، وأيضا سيدنا رسول الله صلى الله عليه محمد وغزوة الأحزاب والريح فيها ..

الريح ومصارع الطغاة :

وسوف أتناول كل موضوع مع هود وسليمان عليهما السلام مع الريح حسب ترتيب النزول ، وأبدأ بما نحن بصدده ، قصة سيدنا هود ، وأذكرها فى خمس موضوعات والتى جاء ذكرها صراحة فى القرآن الكريم .

الموضع الأول :

يقول الله تبارك وتعالى: « كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر » إنا

---

(١) انظر : التصوير الفنى فى القرآن ، للشهيد سيد قطب ص ١١٨ وما بعدها .

أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر ، تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر ، فكيف كان عذابى ونذر ، ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر »[1] .

وقوله تعالى : « صرصرا » فى وصف الريح التى عذبوا بها قال الرازى فيه وجوه :

أحدها : الريح الشديدة الصوت من الصرير ، والصرة شدة الصياح .

ثانيها : دائمة الهبوب ، من أصر على الشىء إذا دام وثبت[2] ، وقال ابن كثير : (هى الباردة الشديدة البرد)[3] ، وقال أبو السعود : (ريحا باردة أو شديدة الصوت)[4] ، ويلاحظ أن الرازى ذكر فى هذه الريح : الشدة والدوام ، دون أن يذكر أنها كانت باردة ، وابن كثير أنها باردة دون أن يذكر صوتها . وأبو السعود ذكر معنيين إما أنها باردة ، وإما أنها شديدة الصوت ..

وقد رجح الألوسى أنها الصر — بفتح الصاد المشددة — بمعنى الحر وعلل ذلك بأنه أنسب لديار العرب[5] ، وسبق بيان معنى الصر ، ولعله قريب منه ، إلا أنه هنا أشد ، وتثير فى النفوس وقعاً مؤلما مفزعا ، وهو المقصود هنا للعبرة فى نهاية الطغاة ومصارعهم ، ولعل الأنسب للديار العرب البرد الشديد المصحوب بالريح الشديدة فى هبوبها وصوتها مايخالف بيئة العرب ، وبخلاف ما يألفونه أشد وأوقع من هول المفاجأة .

---

(١) سورة القمر الآيات من ١٨ : ٢٢
(٢) التفسير الكبير ٧ / ٥٥٤
(٣) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٦٤
(٤) ارشاد العقل السليم ٨ / ١٧٠
(٥) روح المعانى ٢٤ / ٩٩

وقد رد الإمام محمد عبده على من قال أنها بمعنى الحر ، وأنكر كذلك على الجلالين أنها حر وبرد ، وقال محمد رشيد رضا (أنه يكون فى الصوت) جاء ذلك عند تعرضه لتفسير الصر فى آية آل عمران[١]، وعلى هذا فنميل إلا أنها ريح شديدة فى هبوبها وبرودتها وصوتها ، والله أعلم .

وقوله تعالى : « فى يوم نحس مستمر » فسر أبو السعود كلمة « نحس » بالشؤم[٢] ، جمع مشائيم .

وقوله تعالى : « مستمر » أى مستمر عليهم نحسه ودماره ، لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوى بالأخروى[٣] ، وهذا يوضح لماذا ذكر اليوم فى هذا الموضع ، مع أنه فى مواضع أخرى — سيأتى إن شاء الله تعالى — أنه ليس يوم بل أيام وليالى .. فهذا الموضع ركز على هذا اليوم بالذات ، لأنه كما أشار ابن كثير أنه اليوم الذى اتصل فيه عذابهم الدنيوى بالعذاب الأخروى ، ولعله يقصد اليوم الأخير . وقال أبو السعود: (أى مستمر شؤمه ، أومستمر عليهم إلى أن أهلكهم ، أوشامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم أو مشتد مرارته)[٤] حتى أنه ذكر أنه كان يوم الأربعاء آخر الشهر[٥]، وقوله تعالى : « تنزع الناس » .

قال أبو السعود : (تقلعهم ، روى أنهم دخــلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح وصرعتهم موتى « كأنهم أعجاز نخل منقعر » أى منقلع عن مغارسه ، قيل شبهوا بأعجاز النخل وهى أصولها

---

(١) تفسير القرآن الحكيم ٤ / ٦٣

(٢) ارشاد العقل السليم ٨ / ١٧٠

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٦٤

(٤) إرشاد العقل السليم ٨ / ١٧٠

(٥) انظر : المرجع السابق ٨ / ١٧٠

بلا فروع، لأن الريح كانت تقلع رؤسهم فتبقى أجسادا وجثثا بلا رؤس)[١] .

وقال ابن كثير : (وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتى تغيبه عن الأبصار ثم تنكسه على أم رأسه فيسقط إلى الأرض فتثلغ - تشدخ - رأسه فيبقى جثة بلا رأس ، ولهذا قال : « كأنهم أعجاز نخل منقعر »)[٢] .

وكل من أبو السعود وابن كثير وضحا طريقة عذابهم بالريح ، وقد أشار هنا أبو السعود إلى لطيفة دقيقة وهي قوله : (وتذكير صفة نخل - منقعر - للنظر إلى اللفظ ، كما أن تأنيثها في قوله : « أعجاز نخل خاوية » وسيأتي - للنظر إلى المعنى)[٣] .

وقال صاحب الظلال : (والريح التي أرسلت على عاد : هي من جند الله ، وهي قوة من قوى هذا الكون من خلق الله تعالى ، تسير وفق الناموس الكوني الذي اختاره ، وهو يسلطها على من يشاء ، بينما هي ماضية في طريقها مع ذلك الناموس بلا تعارض بين خط سيرها الكوني ، وآدائها لما تؤمر به وفق مشيئة الله تعالى صاحب الأمر ، وصاحب الناموس)[٤] .

الموضع الثاني :

يقول جل ذكره : « فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة

---

(١) المرجع السابق ٨/ ١٧١

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٦٥

(٣) إرشاد العقل السليم ٨ / ١٧١

(٤) الشهيد سيد قطب ٣٤٣١

وكانوا بآياتنا يجحدون • فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون »[١] .

وآية الريح هنا ذكرت فى سياق سوى سياق آية القمر ، ولكل موضع علاقة ومناسبة لما قبله ولما بعده ، وكذلك الآية هنا ذكرت ما حدث لهم من عذاب بالريح كان فى أيام نحسات ، ولعله بيان لما أجملته آية القمر فما أجمل هناك فصل هنا .. (والمعنى ... أن مجامع الخصال الحميــدة : الإحسان إلى الخلق والتعظيم للخالق ، فقوله : « استكبروا فى الأرض بغير الحق » مضاد للإحسان إلى الخلق ، « وكانوا بآياتنا يجحدون » مضاد للتعظيم للخالق ، وإذا كان الأمر كذلك فهم قد بلغوا فى الصفات المذمومة الموجبة للإهلاك والإبطال إلى الغاية القصوى ، فلهذا المعنى سلط الله تعالى العذاب عليهم فقال « فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات)[٢] (إن الحق أن يخضع العباد لله تعالى ولا يستكبروا فى الأرض وهم من هم بالقياس إلى عظيمة خلق الله ، فكل استكبار فى الأرض بغير الحق استكبروا واغتروا « وقالوا من أشد منا قوة » وهو الشعور الكاذب الذى يحسه الطغاة ، الشعور أنه لم تعد هناك قوة تقف إلى قوتهم وينسون « أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة » إنها بديهية أولية إن الذى خلقهم من الأصل أشد منهم قوة ، لأنه هو الذى مكن لهم فى هذا القدر المحدود من القوة ، ولكن الطغاة لا يذكرون « وكانوا بآياتنا يجحدون » وبينماهم فى هذا المشهد يعرضون عضلاتهم ويتباهون بقوتهم ، إذ المشهد التالى فى الآية التالية هو المصرع المناسب لهذا العجب المرذول « فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا » إنها العاصفة الهوجاء المجتاحة الباردة فى أيام نحس عليهم ،

---

(١) سورة فصلت الآيتان ١٥ ، ١٦
(٢) التفسير الكبير للرازى ٤٧٠/٧

وأنه الخزى فى الحياة الدنيا اللائق بالمستكبرين المختالين على العباد ذلك فى الدنيا، وليسوا متروكين فى الآخرة، ولعذاب الآخـــرة أخزى وهم لا ينصرون »[1] .

الموضع الثالث :

يقول جل وعلا «فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب ألـيم ، تدمر كل شىء بأمر ربها فأصبحوا لايرى إلا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين »[2] .

وهذا الموضع جاء فى سياق مرتبط بما قبله وما بعده من الآيات فى تلك السورة ، كالمواضع السابقة واللاحقة .

وقد جاء بأمور لم تذكر فى الموضعين السابقين ، منها ذكر موقـع الأحداث «أنذر قومه بالأحقاف» ، وكذلك رؤيتهم للعارض وهو السحاب ومنها : أن الريح هنا كان فيها عذاب أليم ، وفى الموضع السابق ، كانت عذاب خزى وهو الذل والإستكانة ، ولم يذكـــر هنا عذاب الآخرة ، اكتفاءا بمـا ذكر فى الموضع السابق ، وكذلك الصرصر والنحسات ، ومنها : ذكر هنا التدمير لـكل شىء ، ولم يذكر هذا فى الموضع السابق ، ولا الذى قبله — أى الموضع الأول والثانى — ومن ذلك أيضا أن تدمير الريح — الشديدة الهبوب والصوت والبرودة — لم تأت ولم تدمر من تلقاء نفسها أو من فعل الطبيعة ، كما يقول الـكفرة والملاحدة و كثير من الجهلة ، بل سيقيت بأمر ربها وخالقها بالـكيفية والقدر الذى قدره الله عز وجل .

---

(١) فى ظلال القرآن ص ٣١١٨

(٢) سورة الأحقاف الآيتان ٢٤ ، ٢٥

قال أبو السعود «وفى ذكر الأمر والرب والإضافة إلى الريح من الدلالة على عظمة شأنه عز وجل ما لا يخفى »(١) .

وذكر فى فصلت — الموضع السابق — جحودهم بآيات الله تعالى ، وذكر هنا وصفهم بالإجرام ، وهذا تناسق بديع ، فالذى يجحد بآيات الله مجرم .. إلى غير ذلك من خصائص المشهد القرآنى الحكيم .. والمعنى العام قد ذكره المفسرون « كانت عاد قد حبس عنهم المطر أياما ، فساق الله تعالى إليهم سحابة سوداء ، فخرجت عليهم من واد يقال له المغيث ، فلما رأوه مستقبل أوديتهم استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا ، والمعنى ممطر إيانا ، قيل كان هود قاعدا فى قومه فجاء سحاب مكثر ، فقالوا هذا عارض ممطرنا فقال : بل هو ما استعجلتم به من العذاب ، ثم بين ما هيته فقال « ريح فيها عذاب أليم » ثم وصف تلك الريح وآثارها فقال « تدمر كل شىء » أى تهلك كل شىء من الناس والحيوان والنبات بأمر ربها ، والمعنى أن هذا ليس من باب تأثيرات الكواكب .. بل هو حدث ابتداء بقدرة الله تعالى لأجل تعذيبكم ، « فأصبحوا » يعنى عاد لا ترى إلا مساكنهم »(٢) .

وعن كيفية تدميرهم قالوا « أن الريح كانت تحمل الفسطاط فترفعها فى الجو حتى يرى كأنها جرادة .. . وروى أن أول ما عرفوا أنه عذاب أليم أنهم رأوا ما كان فى الصحراء من رجالهم ومواشيهم يطير به الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم ، — وظلوا فى عذابهم مدة الهلاك التى ستأتى إن شاء الله تعالى —

---

(١) إرشاد العقل السليم ٨٦/٨

(٢) التفسير الكبير ، الرازى ٣٥٣/٧ ، وانظر : تفسير القرآن العظيم ١٦١/٤ ، وتفسير أبى السعود ٨٥/٨

ثم كشفت الريح عنهم فطرحتهم فى البحر، وروى أن هودا -عليه السلام- لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين به خطا إلى جنب عين تنبع، فكانت الريح التى تصيبهم ريحا لينة هادئة، والريح التى تصيب قوم عاد ترفعهم من الأرض وتطيرهم إلى السماء، وتضربهم على الأرض، وأثر المعجزة إنما ظهر فى تلك الريح من هذا الوجه»[1].

ولعل من فضل الله تعالى ورحمته بالمؤمنين من أمة محمد ﷺ ما تناقلته وكالات الأنباء ما كان شبيه بذلك، من ذلك ما جاء فى صدر صحيفة الأهرام ما نصه، تحت عنوان: المسجد الوحيد فى مدينة كوبيه اليابانية الذى نجا من الزلزال «انقذت العناية الإلهية المسجد الوحيد فى مدينة كوبية اليابانية المنكوبة بالزلزال من الدمار، رغم تحول المدينة إلى أكوام من الحطام»[2].

ومن ذلك، ومن قبل هذا الزلزال بعدة شهور، أصاب الهند مرض الطاعون الذى اجتاح مدنا كثيرة فيها، وفتك بعدة آلاف، بسبب تربيتهم للفيران وعبادتها وتقديسها، وكانت المدينة التى كان لها نصيب الأسد من ضحايا المرض مدينة سورات، وفى جزء منها عدد كبير من المسلمين، ويذكر المراسل لمجلة دير شبيجل الألمانية: أن المسلمين فى سورات هم الوحيدون الذين لا يضعون الكمامات الوقائية، ولم يهرب واحد منهم خارج البلاد اتباعا لتعليم الإسلام، ويؤكد المراسل: أن المدهش أنه حتى الآن لم يصب مسلم واحد فى المدينة بالطاعون[3]، ولعل هذا يوقظ همة المسلم، واستنهاض عزيمته للتشبث بعقيدته، ويعتز بإسلامه، وفى الوقت

---

(١) التفسير الكبير ٧ / ٣٥٤، وانظر: تفسير أبى السعود ٨ /٨٦ وتفسير القرآن العظيم ١٦٢/٤

(٢) الأهرام العدد ٣٩٤٩٠، ١٩ /١/١٩٩٥م، ص ١

(٣) انظر: مجلة أكتوبر العدد ٩٣٧، ٩/١٠ ١٩٩٤م ص ٣٤

ذاته تجعله يخشى عقوبة خالقه إذا تمرد على أحكام شرع الله تعالى ، وقد كان رسول الله ﷺ وهو من هو خشية لله رب العالمين يخشى مثل ما حدث لقوم عاد « فعن عائشة زوج النبى ﷺ أنها قالت : كان النبى ﷺ إذا عصفت الريح قال: اللهم إنى أسألك خيرها ، وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به ، قالت : وإذا تخيلت — تغيمت — السماء تغير لونه ، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر . فإذا أمطرت سرى عنه ، فعرفت ذلك فى وجهه ، قالت عائشة : فسألته ، فقال : لعله ياعائشة كما قال قوم عاد « فلما رأوه عارضا مستقبل أودیتهم قالوا هذا عارض ممطرنا »[1] ، وكان رسول الله ﷺ يفعل ذلك فى مثل هذه الأحوال — مع خشيته لله تعالى — لتقتدى به أمته ، ومما ورد فى ريح عاد كذلك «عن ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال: نصرت بالصبا — بفتح الصاد المشددة — وأهلكت عاد بالدبور »[2] .

قال النووى« الصبا هى الريح الشرقية .. والدبور هى الريح الغربية»[3] وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر لريح الصبا .

الموضع الرابع :

يقول جل شأنه « وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ، ما تذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم »[4] ، وآية الريح هنا جاءت بوصف للريح لم يأتى فى المواضع السابقة كلها ، وهو كونها عقيم ، والعقيم : هى المفسدة التى لا تنتج شيئاً[5] ، أى ليست من الرياح اللواقح ، ولأنها

(١،٢) أخرجهما مسلم فى الإستسقاء ٦ /١٩٦

(٣) شرح النووى لصحيح مسلم ١٩٨/٦ ، المطبعة المصرية

(٤) سورة الذاريات الآيتات ٤٢/٤١

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم لإبن كثير ٤ /٢٣٧

تكسر وتقلع[1]، وقال الألوسي «الشديدة التي لا تلقح شيئا .. وفي لفظ — لابن عباس — هي ريح لا بركة فيها ولا منفعة، ولا ينزل منها غيث، ولا يلقح بها شجر، كأنه شبه عدم تضمن المنفعة بعقم المرأة، وقال بعضهم: سميت عقيما لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم، على أن هناك كناية تبعية شبه إهلاكهم وقطع دابرهم بعقم النساء وعدم حملهن لما فيه من إذهاب النسل، ثم أطلق المشبه به على المشبه واشتق منه العقيم»[2]، كما أن هذا الموضع انفرد بصفة أخرى لم يذكر في المواضع السابقة كلها وهي هيئة أثر هذه الريح، وهي قوله تعالى «جعلته كالرميم» وهو الشيء الهالك البالي، أو التراب، أو الهشيم[3].

وقال أبو السعود «هو مارم وبلي وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك»[4]، وللعلماء كلام طيب حول قوله تعالى «ما تذر من شيء أتت عليه» قال الألوسي («ما تذر» ما تدع، والشيء هنا عام مخصوص. أي من شيء أراد الله تعالى تدميره وإهلاكه من ناس أو ديار أو شجر أو غير ذلك، روى أن الريح كانت تمر بالناس فيهم الرجل من عاد فتنتزعه من بينهم فتهلكه»[5]، وقال الرازي وهو يفسر مهمة الريح، وأنها مأمورة من قبل خالقها، وأنها قامت برسالتها بالتحديد قال «أتت عليه» وصف لقوله «شيء» كأنه قال: كل شيء أتت عليه أو كل شيء تأتي عليه جعلته كالرميم، ولا يدخل فيه السموات لأنها ما أتت عليها، وإنما يدخل فيه الأجسام التي تهب عليها الرياح — يقصد الرازي رحمه الله الريح — فإن

---

(١) انظر: التفسير الكبير ٤٧٠/٧

(٢) روح المعاني ١٤/٢٧، وانظر: تفسير أبي السعود ١٤٢/٨

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ٢٣٧/٤، وروح المعاني ١٤/٢٧

(٤) تفسير أبي السعود ١٤٢/٨

(٥) روح المعاني ١٤/٢٧

قيل فالجبال أتت عليها وما جعلتها كالرميم نقول لعل — الرازى — المراد أتت عليه قصدا وهو عاد وأبنيتهم وعروشهم، وذلك لأنها كانت مأمورة من عند الله تعالى ، فكأنها كانت قاصدة إياهم، فما تركت شيئاً من تلك الأشياء إلا جعلته كالرميم »[1] وبخلاف ما سبق فإن الآية جاءت فى سياق و تعبير معجز ، ولها علاقة ومناسبة بما قبلها وما بعدها كالمواضع السابقة .

الموضع الخامس : المشهد الأخير .

يقول سبحانه و تعالى «وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما . فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية »[2] .

هذا هو المشهد الأخير فى قصة سيدنا هود وقومه والريح ، سواء على حسب ترتيب النزول — كما مضينا فى هذا — أم على حسب ترتيب المصحف وهو يجيب عـلى تساؤلات ، تحتاجها النفس وتتشوق لمعرفتها لتكتمل المشاهد كلها شاخصة أمام النظار . ما مدة هلاكهم؟ وكم استغرق؟ وبالتحديد هل كان ليلا أم نهارا ؟ وهل الحدث وقع مصادفة ؟ أو نتيجة عوامل جوية ودوران الكواكب ؟ وهل كان فى إمكان القوم عمل التحصينات اللازمة لحماية أنفسهم ومواشيهم وزرعهم وديارهم الخ من هذه الريح؟ وما النتيجة النهائية ؟ وما العبرة من القصة كلها فى مشهدها الأخير ؟ كل هذا — وغيره — يوضحه هذا الموضع ، وكأنه إتمام للقصة ، ولا يبق لسائل سؤلا يطرحه ، بعد أن اكتمل وتجمع أمامه كل العناصر — التى تتشوف إليها النفس — وهى شاخصة ، كل هذا بأسلوب تعبيرى معجز ، والقصة فيها الزمان والمدة فهنا ذكر ذلك ، والقصة لها موقع حدثت فيها أحداثها لم يذكر هنا ، اكتفاء بما ذكره سورة الأحقاف . وهذا المشهد لم يتناول سبب إهلاك الله تعالى

---

(١) التفسير الكبير ٤٧٠/٧ (٢) سورة الحاقة الآيات ٦، ٧، ٨

لقوم عاد، ومن النبي الذي أرسل إليهم وما الآيات والبراهين التي ساقها؟ وما هو أسلوبه في الدعوة؟ وكيف رد عليه قومه؟ إلخ.

كل هذه وغيره فقد تناولته المواضع السابقة — كما سلف — وهذا الموضع هو اللقطة أو الحلقة الأخيرة في تلك القصة.. وكل موضع يذكر شيئاً، يأتي الموضع التالي له ليضيف جديداً للمشهد الأول في تناسب وتناغم بين الاثنين دون انفصال أو انفصام.. وكما سبق القرآن الكريم كتاب دعوة وهداية، فجاء كل موضع في سور متفرقة، ليذكر القارىء حين يقرأ القرآن الكريم، وهو يتلو ويرتحل، وينتقل من سورة إلى أخرى «فتأتيه وتقابله» القصة، فتذكره بمشاهدها، فتكون العبرة والخشية.. وهذا الموضع جاء فيه أشياء لم يأت في المواضع السابقة منها: قوله تعالى في وصف الريح «صرصر عاتية» وسبق بيان بعض معاني صرصر، أما «عاتية» قال الألوسي (شديد العصف، أو عتت على عاد فما قدروا على ردها، والخلاص منها بحيلة من استتار ببناء، أو لياذ بجبل أو اختفاء في حفرة، فإنها كانت تنزعهم من مكانهم وتهلكهم، وأصله أي العتو تجاوز الحد..)[1].

وإن هذا ليس من العتو الذي هو العصيان إنما هو بلوغ الشيء وانتهاؤه، ومنه قولهم عتا النبت أي بلغ منتهاه وجف قال «وقد بلغت من الكبر عتيا» فعاتية في الريح أي بالغة منتهاها في القوة والشدة[2].

ومنها قوله تعالى: «سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما»

التسخير: التذليل، وكل مقهور مدبر لا يملك لنفسه ما يخلصه من القهر فذلك مسخر.. وكل ما ذل وانقاد، أو تهيأ لك على ما تريد فقد سخر لك[3]، والمعنى أن هذا الريح مسخرة من لدن خالقها لا من تأثير

---

(١) روح المعاني ٢٩/٤٠

(٢) انظر التفسير الكبير للرازي ٣٠٩/٨، والآية ٨ من سورة مريم

(٣) انظر لسان العرب ١٩٦٣/٣

العوامل الجوية أو المجرات أو أى شيء آخر ، وهو مؤكد لما سبق من قوله تعالى : « تدمر كل شيء بأمر ربها » قال مقاتل : سلطها عليهم ، وقال الزجاج : أقامها عليهم ، وقال آخرون : أرسلها عليهم[1] ، وقال الرازى (واختيار لفظ « سخرها » فيه لطيفة ، وذلك أن من الناس من قال أن تلك الرياح — يقصد الريح — إنما اشتدت لأن اتصالا فلكيا نجوميا اقتضى ذلك فقوله « سخرها » فيه إشارة إلى نفى ذلك المذهب)[2] يقصد مذهب الطبيعيين والقائلين بالمصادفة .. وقوله تعالى : « سبع ليال وثمانية أيام » هو تحديد لمدة عذابهم ، وكان ذلك موصولا ليلا ونهارا وكانت الليالى بالتحديد سبع ، والأيام كانت ثمانية ، وهذا التحديد الدقيق لم يتناوله أحد المواضع السابقة ..

ومما لم يذكر فى المواضع السابقة كذلك كلمة « حسوما » ، والحسوم جمع حاسم ، والحسم القطع ، والمعنى قيل : الدائمة فى الشر خاصة .. وقيل المتوالية والمتتابعة .. وذلك إذا تتابع الشيء فلم ينقطع أوله عن آخره .. وقيل : الشؤم[3] ، وكلها معان تؤكد ذهابهم وفنائهم .

قال الرازى : معناها متتابعة متوالية ، وقول الأكثرين « حسوما » أى متتابعة أى هذه الأيام تتابعت عليهم بالريح المهلكة ، فلم يكن فيها فتور ولا انقطاع .. ومعنى الحسم فى اللغة القطع بالإستئصال ، وسمى السيف حاسما لأنه يحسم العدو عما يزيد من بلوغ عداوته ، فلما كانت تلك الرياح — الريح — متتابعة ما سكنت ساعة حتى أتت عليهم ، أشبه تتابعها عليهم تتابع فعل الحاسم فى إعادة الكى على الداكرة

---

(١) انظر : التفسير الكبير ٣٠٩/٨

(٣) المرجع السابق ٣٠٩/٨

(٣) انظر : لسان العرب ١٩٦٣/٣

بعد أخرى حتى ينحسم[1] .

وكذلك قوله تعالى : « فترى القوم فيها صرعى » لم يأت هذا فى المواضع السابقة .

قال ابن قتيبة (كانوا ثلاثة عشر قبيلة ينزلون الرمل بالدو والدهناء وعالج ووبار وعمان إلى حضرموت)[2] وقد وصف ابن حجر أجسامهم ومن هذا الوصف أن رأس أحدهم مثل القبة ، وطول أحدهم إثنى عشر ذراعا[3] .

وقوله تعالى : « صرعى » أى هلكى جمع صريع ، قال مقاتل يعنى موتى ، يريد أنهم صرعوا بموتهم ، فهم مصرعون صرع الموت[4] .. وقوله تعالى : « كأنهم أعجاز نخل خاوية » سبقت الإشارة لماذا ذكر صفة نخل فى سورة القمر ، وأنثى هنا .. وابن حجر أشار إلى نكتة التأنيث للنخل فقال (خاوية أى أصولها ، وهى على رأى من أنث النخل وشبههم بأعجاز النخل إشارة إلى عظم أجسامهم .. وأعجاز النخل هى التى لا رؤس لها)[5] ، وهى أصول النخل ومعنى خاوية : خربة وبالية[6] وقال الألوسى (خلت أجوافهم بلى وفسادا ، قال ابن شجرة : كانت — — الريح — تدخل من أفواههم فتخرج ما فى أجوافهم من الحشو من

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازى ٣٠٩/٨ ، فتح البارى لابن حجر ٢٩٠/٦ ، وتفسير القرآن العظيم لابن ٤١٢/٤

(٢) فتح البارى لابن حجر ٢٩٠/٦

(٣) انظر : المرجع السابق ٢٩١/٦

(٤) انظر : روح المعانى ٤٠/٢٩ ، التفسير الكبير ٣٠٩/٨

(٥) فتح البارى ٢٩١/٦ (بتصرف) .

(٦) انظر تفسير القرآن العظيم ٤١٢/٤

أدبارهم ، فصاروا كأعجاز النخل الخاوية ، وقال يحيى بن سلام : خلت أبدانهم من أرواحهم ، فكانوا كذلك)[1] .

وقوله تعالى : « فهل ترى لهم من باقية » لم يأت إلا فى هذا الموضع ، ولم يأت فيما سواه وهذه الآية آخر آية ذكرت قوم هود ، وهى تبرز نهايتهم ونهاية كل ظالم جاحد كافر مستكبر مفسد ، وهى ختام القصة ، وهو ختام متناسب تماما وفيه العبرة ، وهو فى الوقت نفسه يؤكد حقيقة ثابتة وتحدى قائم فإن هؤلاء القوم بادوا جميعا ، ولم يبق لهم أثر ، قال ابن كثير حول قوله تعالى « فهل ترى لهم من باقية » (أى هل تحس منهم من أحد من بقاياهم أو ممن ينسب إليهم ، بل بادوا عن آخرهم ، ولم يجعل الله تعالى لهم خلفا)[2] . ووحدة الموضوع فى القصة ظاهر بين .

الموضوع الثامن : الريح وسيدنا سليمان :

سيدنا سليمان نبى من أنبياء الله تعالى ، ورسول من رسله الكرام ، وهو : سليمان بن داود بن إيشا بن عولا بن عابر بن سلمون بن نحشون ابن عمينا داب بن أرم بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم[3] ، وهو نبى ابن نبى ، ووارث ميراث النبوة من أبيه داود ، وكذا الملك ، وهبة الله تعالى لأبيه .

قال تعالى « ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب »[4] ،

---

(١) روح المعانى ٤٠/٢٩
(٢) تفسير القرآن العظيم ٤١٢/٤
(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٤٣٠/١
(٤) سورة ص الآية ٣٠

وقال تعالى : « وورث سليمان داود »[1] ، ليس المراد ورثه فى المال ، لأنه — داود — قد كان له بنون غيره ، فما كان ليخصه بالمال دونهم ، وأيضاً ثبت فى الصحاح قول رسول الله ﷺ « نحن معاشر الأنبياء لانورث ما تركنا صـــدقة »[2] . وقد ذكر سيدنا سليمان فى القرآن الكريم ست عشرة مرة . وله مناقب كثيرة وله قصة مع النمل ومع الجن ومع بلقيس ومع الهدهد ، وكلها قصص فى غاية الإبداع ، ليس هنا محل ذكرها . والذى نرمى إليه هنا ، ذكر الريح معه ، والمعجزة فى ذلك . .

وإذا كانت الريح — مفرد — رياح — لا يملك الإنسان بكل تفكيره ومختبراته وأجهزته — على مر الزمان — من أمرها شيئاً ، لا فى خلقها ، ولا فى إطلاقها ، ولا فى إمساكها ، ولا فى تغيير اتجاهها ، وهذا العجز البشرى واقع ومدرك ، إذن فلا مفر من التسليم بقدرة الخالق — للريح ولكل شىء — وحكمته وسلطانه ، وأنه جل شـأنه الواحد المتصرف فى ملكه كيف يشاء . . ورغم هذا العجز البشرى ، والتحدى القائم الدائم ، فإن الله عز وجل قد سخر الريح لسيدنا سليمان ، وجعلها تطيعه ، وتأتمر بأمره . . لكنها ليست كريح عاد فى رسالتها ، بل هى ريح رخاء طيبة . .

وهذا يظهر ويؤكد قدرة الخالق سبحانه وتعالى : وهيمنته على كل المخلوقات ، وكذلك قدرة الله تعالى التى لاحدود لها ، ولا قيود عليها . . فقد جعل للشىء الواحد أغراضاً شتى وفق مشيئته ومراده . . فكانت الريح نقمة على قوم عاد ، ونعمة لسيدنا سليمان . .

---

(١) سورة النمل آية ١٥ .

(٢) أخرج البخارى الجزء الأخير من الحديث فى كتاب : فرض الخمس ٦ / ١٥٠ عن عائشة ، دار إحياء التراث العربى ، والجزء الأول من الحديث رواية أخرى .

هذا وقد ذكر الريح مع سيدنا سليمان — صراحة — فى الذكر الحكيم ثلاث مرات ، كل مرة فى سورة . ويلاحظ أن قصة سيدنا سليمان مع الريح جاءت فى سور مكية ، وكذلك سيدنا هود مع الريح .. وهذا يناسب مرحلة من مراحل الدعوة ، وما فعله كفار قريش مع رسول الله ﷺ .. وسوف أذكر هذه المواضع حسب ترتيب النزول لما فى ذلك من غاية تدرك فى ثنايا البحث ..

الموضع الأول :

يقول تبارك وتعالى : « ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب . قال رب أغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب . فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب »[1].

وقد سبق بيـــان معنى التسخير ، ويلاحظ نون العظمة فى قوله « فسخرنا » وهى تبرز قدرة الله تعالى ، وأن ذلك من المهيمن وحده ، وليس لأحد سواه . وقوله تعالى : « تجرى بأمره » بيان لتسخيرها له . وقوله تعالى : « رخاء » أى لينة من الرخاوة ، طيبة لا تزعزع ، وقيل طيعة لا تمتنع عليه كالمأمور المنقاد ، « حيث أصاب » أى حيث قصد وأراد)[2] . ومن خلال هذا المشهد القرآنى الكريم تبرز عدة حقائق منها — أن سيدنا سليمان قبل أن يدعو ربه لهذا الملك العجيب الفريد ، استغفر ربه لما حدث فى فتنته[3] .

— وعندما طلب هذا الملك من ربه ، نسب إليه سبحانه الهبة ، لأن

---

(١) سورة ص الآيات ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) تفسير أبى السعود ٧ / ٢٢٧ .

(٣) لسنا الآن فى مجال ذكرها ، وهى موجودة فى كتب التفاسير ، ونحذر من الإسرائيليات فيها .

وحده هو القادر على هبة هذا الأمر العجيب ، ولا يقدر على هـــذا — وأمثاله — إلا الله الواحد الوهاب .

— أنّ سيدنا سليمان عندما فعل ما فعل مع الخيل — فى الآيات السابقة عن المشهد المذكور هنا — عوضه الله تعالى ما هو خيراً منها ، وأسرع ، وهى الريح . قال ابن كثير (لما ترك — سليمان — الخيل ابتغاء وجه الله عوضه الله منها الريح التى هى أسرع سيراً ، وأقوى وأعظم ، ولا كلفة عليه لها)[١] .. وقد ورد عن رسول الله ﷺ ما يؤكد أن المسلم إذا تخلى عن شىء ولو كان محبباً إلى النفس ابتغاء مرضاة الله تعالى عوضه الله خيراً منه فقد قال ﷺ « إنك لاتدع شيئاً تبتغى فيه تقوى الله عز وجل إلا أعطاك الله خيراً منه »[٢] .

جاء فى صحيح البخارى ما يبرز أدب النبوة وتواضع سيدنا محمد ﷺ وهو عبرة ودرس لكل مسلم ، وبخاصة الدعاة إلى الله عز وجل « عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « إن — عفريتا من الجن تفلت على البارحة أو كلمة نحوها ليقطع على الصلاة فأمكننى الله منه وأردت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم ، فذكرت قول أخى سليمان . رب هب لى ملكا لاينبغى لأحد من بعدى . قال روح : فرده خاسئاً »[٣] .

والقصد هنا : أن الله تعالى قد وهب لسيدنا سليمان ملكا ليس له مثيل وكان من قوامه أن سخر له الريح ، تأتمر بأمره ..

---

(١) قصص الأنبياء ص ٥٠٨ .

(٢) رواه أحمد فى مسنده ٥ / ٧٨ ، دار صادر .

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب : التفسير ، باب : قوله « هب لى ملكا .. » ٨ / ٤٤٣ .

الموضع الثانى :

يقول عز وجل « ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأرسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير »[1] .

ذكرت سورة ص فضل الله تعالى ونعمه على سيدنا سليمان وكان من خصائص الملك الموهوب له ، ومعالمه البارزة ، بل الأولى منه تسخير الريح التى كانت رخاء ، وكانت تجرى بأمره ، لذلك ذكرتها أولا حسب ترتيب النزول ، وهذه الآية لم تذكر شيئاً من هذا ، اكتفاء لما ذكر فى سورة ص . لكنها أضافت أمراً آخر فى شأن الريح لسيدنا سليمان . وكان من شأنها — هنا — غدوها شهر ورواحها شهر ، وهذا يبين مدى سرعتها العجيبة كما يبين المدة فى غدوها ورواحها ، لكن يضاف إليها لفظ « رخاء » المذكور أولا فى سورة ص ، ويوضح مدى سرعتها أبو السعود ويقول (أى جريها بالغداة مسيرة شهر ، وجريها بالعشى كذلك)[2] أى مسيرة شهر للمسرع .. وقد ذكر الألوسى هنا لطيفة فقال (لم يقل ومع سليمان الريح ، لأن حركتها ليست بحركة سليمان بل هى تتحرك بنفسها — يقصد بما أودع الله فيها من أسرار — ، وتحرك سليمان وجنوده بحركتها وتسير بهم حيث شاء ، وهذا على خلاف تأويب الجبال فإنه كان تبعاً لتأويب داود عليه السلام فلذا جىء بمعه)[3] .

---

(١) سورة سبأ الآية ١٢ ،
(٢) تفسير أبى السعود ٧ / ١٢٥ :
(٣) روح المعانى ٢٢ / ١٠٧ .

الموضع الثالث :

يقول سبحانه وتعالى : « ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره إلى الأرض التى باركنا فيها وكنا بكل شىء عالمين »[1] .

فى هذا الموضع جاءت الريح ووصفت بوصف لم يذكر فى الموضعين السابقين ، وهو قوله « الريح عاصفة » وهذا يعنى أن كل مرة ذكرت فيها الريح مع سليمان إنما أعطى معنى جديداً ، وجاء فى مناسبة خاصة ، وفى موضع خاص له دلالته ..

ووصف الريح هنا بأنها عاصفة بخلاف ما جاء فى سورة ص أنها رخاء لا يتناقضان وحاشا فى كلام رب العالمين من تناقض أو اختلاف (لأن الرخاء وصف لها باعتبار نفسها ، والعصف باعتبار قطعها المسافة البعيدة فى زمان يسير كالعاصفة فى نفسها ، فهى مع كونها لينة تفعل فعل العاصفة. ويجوز أن يكون وصفها بكل من الوصفين بالنسبة للوقت الذى يريده سليمان عليه السلام فيه ، وقيل وصفها بالرخاء فى الذهاب ، ووصفها بالعصف للإياب على عادة البشر فى الإسراع إلى الوطن ، فهى عاصفة فى وقت رخاء فى آخر)[2] . وقال الرازى (إنه — أى سليمان — إن أرادها عاصفة كانت عاصفة وإن أرادها لينة كانت لينة ، والله تعالى مسخرها فى الحالتين)[3] .

وقال ابن كثير (كان له بساط مركب من أخشاب بحيث أنه يسع جميع ما يحتاج إليه . فإذا أراد سفراً أو قتال ملك أو أعداء من أى بلاد الله شاء ، فإذا استقل بين السماء والأرض أمر الرخاء فسارت به ، فإن

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٨١ .

(٢) روح المعانى ١٧ / ١٧ .

(٣) التفسير الكبير ٧ / ١٣٧ .

أراد أسرع من ذلك أمر العاصفة فحملته أسرع مايكون فوضعته فى أى مكان شاء ، بحيث إنه كان يرتحل فى أول النهار من بيت المقدس فتغدو به الريح فتضعه باصطخر مسيرة شهر . فيقيم هناك إلى آخر النهار ، ثم يروح من آخره فترده إلى بيت المقدس »[1] ، والذى نود التأكيد عليه أن هذه الريح لم تكن كالريح العاصفة المهلكة)، فلااختلاف بين كونها رخاء وبين كونها عاصفة مع سيدنا سليمان عليه السلام ، وقوله تعالى : « تجرى بأمره » قال الألوسى « أى بمشيئته ، وعلى وفق إرادته وهو استعمال شائع ، ويجوز أن يأمرها حقيقة ويخلق الله تعالى لها فهما لأمره »[2] .

ويوجد فى بعض كتب التفاسير أشياء غريبة حول بساط سيدنا سليمان ضربت عنه صفحا لأن أكثر المفسرين نبه على أن فيه إسرائيليات كثيرة . .

الموضوع التاسع : الريح والأحزاب :

يقول الله تبارك وتعالى: « يا أيها الذين آمنوا أذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعلمون بصيراً ● إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذا زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ● هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ● وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ● وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لامقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فراراً ، الآيات إلى قوله تعالى : « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزا »[3] . .

---

(١) قصص الأنبياء ص ٥٠٨ (٢) روح المعانى ٧١/١٧

(٣) اقرأ سورة الأحزاب الآيات من ٩ : ١٥

هذا المشهد جاء فى ذكر غزوة الأحزاب، وسميت السورة باسمها، وهى غزوة الخندق لما اشتهرت به، والمشهد يوضح بأسلوب بليغ رائع معجز، الأحداث التى صاحبت تلك الغزوة، سواء من غرور الكفار، وظهور النفاق، وغدر اليهود، أم حالة المؤمنين عندما رأوا هذا التجمع المعاند للإسلام والمسلمين، ولقد كان رسول الله ﷺ يدعو بهذا الدعاء فى هذه الغزوة «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، إهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم»[1]، وقد استجاب الله وتعالى لدعاء نبيه ﷺ، وأرسل الله عليهم الريح والجنود التى لم يروها، وكانت الريح سببا فى هزيمة الأحزاب، وفى الوقت ذاته كانت سببا لنصر المسلمين، ولابن كثير كلام طيب حول هذه الريح، وريح عاد التى سلف ذكرها فقال: «... ولولا أن الله جعل رسوله رحمة للعالمين، لكانت هذه الريح عليهم — أى على الأحزاب — أشد عليهم من الريح العقيم التى أرسلها على عاد، ولكن الله تعالى قال «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم» فسلط عليهم هواء فرق شملهم، كما كان سبب اجتماعهم من الهـوى، وهم أخلاط من قبائل شتى أحزاب وآراء، فناسب أن يرسل عليهم الهواء الذى فرق جماعتهم وردهم خائبين خاسرين بغيظهم وحنقهم لم ينالوا خيرا لا فى الدنيا مما كان فى نفوسهم من الظفر والمغنم، ولا فى الآخرة بما تحملوه من الآثام فى مبارزة الرسول ﷺ بالعداوة، وهمهم بقتله واستئصال جيشه»[2].

وقد سبق قول رسول الله ﷺ «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور»، وقد ذكر ابن حجر نكتة فى تخصيص الدبور بعاد والصبا بالمسلمين أمة محمد ﷺ فقال «الصبا تؤلف السحاب وتجمعه، فالمطر فى الغالب يقع حينئذ، وقد وقع فى الخبر، أنه كان إذا أمطرت سرى عنه

---

(١) أخرجه البخارى فى المغازى، باب غزوة الخندق ٣٢٦/٧

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤٧٦/٣

وذلك يقتضى أن تكون الصبا أيضا مما يقع التخوف عند هبوبها ... والصبا بفتح المهملة بعدها موحدة مقصورة يقال لها القبول بفتح القاف لأنها تقابل باب الكعبة إذ مهبها من مشرق الشمس، وضدها الدبور وهى التى أهلكت بها قوم عاد، ومن لطيف المناسبة كون القبول نصرت أهل القبول، وكون الدبور أهلكت أهل الأدبار، وإن الدبور أشد الصبا .... وأنها — الدبور — لم يخرج منها إلا قدر يسير ومع ذلك استأصلتهم قال تعالى: «فهل ترى لهم من باقية»، ولما علم الله تعالى رأفة نبيه ﷺ بقومه رجاء أن يسلموا سلط عليهم الصبا، فكانت سبب رحيلهم عن المسلمين لما أصابهم بسببها من الشدة، ومع ذلك فلم تهلك منهم أحدا، ولم تستأصلهم»[1]، وهذا من رحمة الله تعالى بأمة محمد ﷺ.

والمقصود هنا: عندما يبذل المسلمون جهدهم فى إعداد العدة للجهاد فى سبيل الله تعالى للدفاع عن عقيدتهم ومقدساتهم، وديارهم، ويكون العدو أشد منهم، وأكثر عدداً وعدة، عندما يفعل المسلمون ذلك مستغيثين بالله تعالى وحده ولم يركنوا إلى الظلمة والطغاة، ولم يتقاعسوا عن الجهاد فى سبيل الله، ولم يكن لهم طاقة بعدوهم، هنا تتدخل عناية الله، وسيأتيهم النصر المبين من حيث لا يدرون، وقد حدث هذا لسيدنا رسول ﷺ فى غزوة الخندق، وكانت ريح الصبا التى أرسلها الله تعالى سبباً فى نصر المؤمنين، بل فى الوقت ذاته هزمت الأحزاب، «وكفى الله المؤمنين القتال»..

ويلاحظ: أننى ذكرت الريح مع هؤلاء الأنبياء على ترتيب وجودهم الزمنى، فسيدنا هود كان وقت وجوده قبل وقت وجود سيدنا سليمان، وسيدنا سليمان كان وقت وجوده قبل خاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ، كما هو معلوم.

---

(١) فتح البارى ٤١٧/٢

الموضوع العاشر : تكملة لما جدواها :

أتناول فى هذه التتمة أربع مواضع ذكر فيها لفظ الريح مفردة فى الذكر الحكيم ، لكنها ليست كالريح التى سلف ذكرها فى أثناء البحث — فى الموضوعات التسع السابقة .. فنى الغالب لما ذكر تخالفها ...

الموضع الأول : ريح الأنفال :

يقول الله تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فأثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وأصبروا إن الله مع الصابرين »[١] .

قال أبو حيان : « أمرهم تعالى بالطاعة لله ورسوله ، ونهاهم عن التنازع وهو تجاذب الآراء وافتراقها ... لأنه يتسبب عن التنازع وهو الخور والجبن عن لقاء العدو ، وذهاب الدولة باستيلاء العدو »[٢] .

والشاهد معنا هنا معنى الريح ، فقال الزمخشرى « الريح الدولة ، شبهت فى نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها ، فقيل : هبت رياح فلان ، إذا دالت له الدولة ونفذ أمره »[٣] .

وقد ذكر أبو حيان أقوال كثير من العلماء حول معنى « ريحكم » فقال « قال مجاهد : الريح : النصر والقوة ، وذهبت ريح أصحاب رسول الله ﷺ حين ناغوه بأحد[٤] ... وقال زيد بن على « ويذهب ريحكم » معناه: الرعب من قلوب عدوكم

---

(١) سورة الأنفال الآيتان ٤٥ ، ٤٦

(٢) البحر المحيط لأبى حيان ٤/٥٠٣ ، دار الفكر .

(٣) الكشاف ٢/١٦٢ ، ط الحلبى .

(٤) المناغاة : المحادثة ، وناغت الأم صبيها : لاطفته وشاغلته بالمحادثة والملاعبة . أنظر : لسان العرب ٦/٤٤٩١

وقال ابن زيد وغيره : الريح على بابها ، وروى فى ذلك أن النصر لم يكن قط إلا بريح تهب فتضرب فى وجوه الكفار ... وقال الحكم « وتذهب ريحكم » يعنى الصبا إذ بها نصر محمد ﷺ وأمته . وقال مقاتل « ريحكم » حدتكم ، وقال عطاء : جلدكم ، وحكى التبريزى : هيبتكم »[1] . ومن خلال تفهم أغلب الأقوال السابقة نجدها ذكرت الريح هنا خلاف ما ذكرناه فى الموضوعات السابقة .

ونشير هنا أن مخالفة الله ورسوله ، وعدم طاعتهما من تشريع وأحكام وأخلاق يفل فى عضد المسلمين ، وتجلب لهم معصيتهما الشقاق والصراع والقحط ، والفشل فى كل ضروب الحياة — فضلا عن العقاب فى الآخرة — وإحلال الكوارث والأزمات ، والفشل أمام العدو وخصوم الإسلام ، مما يجعلهم يشمتون فى المسلمين وأحوالهم ، لذلك حذر الله سبحانه وتعالى أمة الإسلام من مخالفة أحكام الشريعة .. وتلك المخالفة تجلب لهم الاختلاف والشقاق .

الموضع الثانى : ريح يونس :

يقول سبحانه وتعالى « هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين »[2] .

سبق الحديث عن الريح فى الآية الكريمة ، والريح الأولى فى الآية

(١) البحر المحيط ٥٠٤/٤ .
(٢) سورة يونس الآية ٢٢ .

وصفت أنها طيبة ، وهى اللينة اللذيذة المواتية لسيرهم فى البحر ، وفق حاجاتهم[1] وخرجت هذه الريح من الريح المذكورة فى الموضوعات السابقة بوصفها « طيبة » ولهذا كان معناها رياحا وليست ريحا ، وذلك لجريان السفن فى البحر ، وهذا من دقة التعبير القرآنى المعجز فى الخلق والتعبير .

ويدل على هذا ما جاء فى الذكر الحكيم من آيات تبين أن الفلك تجرى فى البحر بالرياح وليست بالريح ، من ذلك قوله تعالى « ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمت الله ليريكم من آياته إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور »[2] . فقوله تعالى « بنعمت الله ليريكم من آياته » يوضح أن ذلك بالرياح — وبغيرها — لأن الغرض هنا مقصود به التذكير بنعم الله تعالى ، وذلك يكون بالرياح ، لأن الريح من عذاب الله ونقمته . وفى آية أخرى أصرح من السابقة ما يؤكد ذلك ، يقول الله تبارك وتعالى « ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون »[3] .

والمقصود هنا أن ريح يونس الأولى خرجت مما ذهبت فى ثنايا البحث عن الريح المهلكة . وقوله تعالى فى وصفها « طيبة » وفى الثانية أنها « عاصف » لأن الريح يجوز فيها التأنيث والتذكير ، وكون الريح ذكرت مرتين فى آية واحدة ، ليتدبر الإنسان فى لحظة واحدة ، ولا يغيب عن باله أبدا ، قدرة الله تعالى على خلقه ، فهو وحده القادر على تغيير النعمة إلى نقمة فلا يغتر أحد بما أنعم الله عليه ، كما أنه وحده القادر على تغيير

---

(١) انظر : لسان العرب ٤/٢٧٣١

(٢) سورة لقمان الآية ٢١

(٣) سورة الروم الآية ٤٦

النقمة إلى نعمة فلا ييأس أحد . وليس ذلك لأحد من خلقه ، فالملك كله بيده سبحانه يتصرف فيه كما يشاء وفق حكمته ومراده .

وإذا قيل هنا : إن أغلب السفن والغواصات تسير — الآن — بواسطة الطاقة وليست بواسطة الشراع .. نقول : إن أغلب مصادر المستخدمة — الآن — أصلها نباتي أو حيواني ، أو هما معا ، والنبات والحيوان لا حياة لهما إلا بالريح الطيبة أو بالرياح . وهذه نعمة وجب شكر الله تعالى عليها ، مع شكره تعالى على نعمه التي لا تحصى ، وهذا يؤكد عطاء القرآن الممدود ، ويجعل المسلمين يعتزون بقرآنهم .

الموضع الثالث : ريح الشورى :

يقول جل ذكره « ومن آياته الجوارى فى البحر كالأعلام . إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور »[1] .

وهذا الموضع له علاقة ما بالموضع السابق ، فالريح الطيبة — أو الرياح — تجرى الفلك — كما سبق فى الموضع السابق — والريح المفردة العاصفة أو القاصفة أو المدمرة ، تهلك الناس ، وكل شيء ومنه الفلك ، وهناك قراءة « إن يشأ يسكن الرياح »[2] . ويدلل على أن معناها الرياح . أن هذه الآية — ريح الشورى — لو كان السكون للريح بمعناها السابق من قصف وعصف وتدمير لو سكنت لكان هذا نعمة وليس نقمة ، والمشهد هنا يذكر فضل الله تعالى ورحمته على عباده من

---

(١) سورة الشورى الآيتان ٣٢ ، ٣٣
(٢) انظر : الكشاف ٣٢/٨

جرى الجوارى — الفلك — فى البحر كالأعلام — كالجبال — وهذا لا يكون إلا بالرياح أو بالريح الطيبة . وإذا كانت ساكنة فهذا عذاب ونقمة . وكذلك جاء فى الذكر الحكيم آيات كثيرة تذكر إرسال الرياح ، وهذا الإرسال يؤدى إلى فوائد جمة ، بل يؤدى إلى الحياة ، وهذا من فضل جود الله تعالى على عباده .

من هذه الآيات قوله تعالى « وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون »[1] . وقوله تعالى « والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور »[2] . وغير ذلك من الآيات التى تذكر فضل الله تعالى فى إرسال الرياح .

وعلى ذلك فالمقصود بهذه الريح الرياح . وتوجد لطيفة توضح ما ذهبت إليه وهى أن ريح يونس الطيبة سابقة فى النزول عن ريح الشورى وكذا فى ترتيب المصحف فما وصفت به ريح يونس ينساق على ريح الشورى ، واكتفى هنا بما ذكر هناك من وصفها .

ومع كل هذا فإن ريح الشورى — بما ذهبت إليه — ذكرت أمرا لم يسبق ذكره فى الآيات السابقة كلها فى هذا البحث . فالآية ذكرت سكون الرياح ، وهو عقاب لم يذكر فيما سبق ، فقد أضافت أمرا جديدا ، وهذا من التناسق والتنوع البديع فى الذكر الحكيم ، وصدق الله العظيم أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا »[3] .

---

(١) سورة الأعراف الآية ٥٧ (٢) سورة فاطر الآية ٩
(٣) « النساء الآية ٨٢

والمهم — هنا — أن الرياح المرسلة والساكنة من قدرة الله تعالى وحكمته وتدبيره وهو وحده المهيمن على الرياح إن شاء أرسلها وإن شاء أسكنها، وهذا تحدى قائم ودائم ، إذ ليس لأحد من خلقه ذلك . . فهو وحده يرسل الرياح برحمته فتسرى الحياة فى المخلوقات ، وهو وحده القادر على سكون الرياح عذابا وعقابا لمعاصى عبيده ، فالقدرة الإلهية تجلت فى الرياح ، فكيف بالمخلوقات الأخرى التى لا تحصى .

الموضع الرابع : ريح يوسف :

يقول تبارك وتعالى « ولما فصلت العير قال أبوهم إنى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون »[١] .

وقصة سيدنا يوسف عليه السلام مع أبيه وإخوته ، والجب وبيعه والملك وزوجته والنسوة والسجن ودعوته إلى الله وقت المحنة ، وتفريج الله تعالى عنه محنته ، وقصته مع أهل مصر ، ومع أخيه بنيامين ، وتقلبه بين المحنة والمنحة ، ومجيء إخوته وأهله وأبويه ، وقصة القميص فى بداية القصة وفى ختامها إلخ .

إنها قصة من أروع وأبدع القصص ، حتى قال الله تعالى فى شأنها « نحن نقص عليك أحسن القصص » وفيها فوائد وعبر ثمينة لا تقدر ، وجاء فى سورة مطولة سميت باسم سيدنا يوسف ، لم يذكر فيها قصة غيره ، وهو : يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام . كما جاء فى صحيح البخارى « عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم : يوسف بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم عليهم السلام »[٢] .

---

(١) سورة يوسف الآية ٩٤

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب : أحاديث الأنبياء . باب : قول الله تعالى « لقد كان فى يوسف وأخوته آيات للسائلين ٨/٣٢٥

وكان سيدنا يعقوب قد كف بصره حزناً على يوسف وأخيه ، قال تعالى «وابيضت عيناه من الحزن»[1] وقال تعالى «فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا»[2] وحزن يعقوب هذا لم يكن جزعا من أمر الله تعالى ، وقضائه وقدره ، بل كان بكاؤه وحزنه في نفسه ، ولم يشكو لأحد إلا الله ، قال تعالى «وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم» والكظيم هو الكاظم لغيظه ، والساكت عليه ، ولا يشكو أمره لمخلوق[3] . ودليل ذلك قوله «إنما أشكو بثي وحزني إلى الله» ، وقوله «فصبر جميل» كل هذا يدل على صبره ، ورضاه بقضاء الله وقدره ، وحزن الوالد على ولده بهذه الصورة ، لا بأس به لأن الإنسان - كما قال الزمخشري - مجبول على أن لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن[4] ، ولقد جاء في الأثر «ريح الولد من ريح الجنة»[5] ، وقيل حين التقى يوسف بأبيه قال له: ياأبت بكيت علي حتى ذهب بصرك ، ألم تعلم أن القيامة تجمعنا ، فقال يعقوب : بلى ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بيني وبينك[6] ، ومعلوم أن يعقوب فقد ولده وهو صغير ، أرسله معنا غدا يرتع ويلعب ، فكان حزنه علي ولده من ناحية الدين ، ويؤكد هذا رواية أخري ، عندما جاء يعقوب

---

(١) سورة يوسف آية ٨٤

(٢) سورة يوسف آية ٩٦

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ٤٨٧/٢

(٤) انظر : الكشاف ٣٣٩/٢

(٥) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد في كتاب : البر والصلة ، باب : في الأولاد ، وقال : رواه الطبراني في الصغير والأوسط ، وقال ضعيف ١٥٦/٨

(٦) انظر : الكشاف للزمخشري ٣٤٤/٢

البشير سأله يعقوب كيف يوسف ؟ فقال : هو ملك مصر ، فقال : ما أصنع بالملك ، على أى دين تركته ؟ فقال البشير : على دين الإسلام ، قال يعقوب : الآن تمت النعمة[١] ، ولو صحت هاتين الروايتين ، ولو علم يعقوب بأن ولده النجيب أدرك الإسلام وتشبث بالتوحيد ، بل كان داعية من دعاة الإسلام حتى وهو يتقلب من محنة إلى محنة وبخاصة وهو وراء قضبان السجن « ياصاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » لو علم يعقوب ذلك من ولده لم تبيض عيناه حزنا عليه ، بل استبشر وفرح بولده — وغم غيبته وغربته — لما يقوم به من أداء رسالة الإسلام ، وهذا هو اللائق بسيدنا يعقوب ، وهو درس لكل الآباء .

فالحزن هنا — مع ما سبق — رقة القلب ، ورحمة الوالد على ولده .. ولقد حدث مثل هذا لسيدنا رسول الله ﷺ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبى سيف القين — بفتح القاف وسكون الياء وهو الحداد — وكان ظئرا[٢] ، لإبراهيم — ابن رسول الله ﷺ — فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبله وشمه ، ثم دخلنا عليه بعد ذلك ، وإبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان — يجرى دمعهما — فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يارسول الله فقال : يا ابن عوف إنها رحمة ، ثم أتبعها أخرى فقال رسول الله ﷺ : إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بفراقك ياإبراهيم لمحزونون »[٣] ، والمنهى عنه هو الجزع

---

(١) انظر : المرجع السابق ٣٤٣/٢

(٢) يقال ذلك — أصلا — للتى ترضع غير ولدها ، ويطلق ذلك على زوجها لأنه يشاركها فى تربيته غالبا : انظر : فتح البارى لإبن حجر ١٢٥/٣ .

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب : الجنائز ، باب : قول النبى ﷺ : إنا بك لمحزونون ١٣٥/٢

الذى يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ، ولطم الصدور والوجوه ، وتمزيق الثياب ، وقد جاء فى الصحيح « عن عبد الله رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية »[1] .

والمقصود أن سيدنا يعقوب كف بصره حزنا على ولده يوسف . . وقد رد الله تعالى عليه بصره حين جاءه البشير بلقاء يوسف ، عندما أرسل يوسف بقميصه إليه . كما حكى القرآن الكريم « اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا وأتونى بأهلكم أجمعين »[2] ، والمهم — معنا — هنا ريح يوسف التى وجدها أبوه قبل اللقاء بينهما . والمفهوم أن ريح يوسف وصلت قبل وصول البشير . . قال فى الكشاف « أوجد الله ريح القميص حين أقبل من مسيرة ثمان »[3] .

وجاء فى الفتوحات الإلهية « إنى لأجد ريح يوسف » « أى أدركه بحاسة الشم أى اشمه . . . قال أهل المعانى : إن الله تعالى أوصل إليه ريح يوسف عليه السلام عند انقضاء مدة المحنة من المكان البعيد ، ومنع من وصول خبره إليه مع قرب إحدى البلدتين من الأخرى فى مدة ثمانين سنة — مدة الإفتراق كما ذكره بعضهم — وذلك يدل على أن كل سهل فى مدة المحنة صعب ، وكل صعب فهو فى زمان الإقبال سهل[4] ، وعلى كل

---

(١) أخرجه البخارى فى الجنائز ، باب : ليس منا من شق الجيوب ٣ / ١٢٧

(٢) سورة يوسف الآية ٩٣

(٣) الزمخشرى ٢ / ٣٤٣ ، وانظر : تفسير القرآن العظيم لإبن كثير ٢ / ٤٨٩

(٤) الفتوحات الإلهية ، الجمل ٢ / ٤٨٠ [بتصرف] ط عيسى الحلبى

حال كانت هذه معجزة لسيدنا يعقوب فى وجود ريح يوسف سواء فى حاسة الشم ، أم الشعور الأبوى لوجود ولده ، أم الطمع والرجاء فى رحمة الله تعالى فى لقاء ولده ، ولا يمتنع كل هذا عن سيدنا يعقوب فهو نبى وابنه نبى ، وحدوث هذا بين الأنبياء لا غرابة فيه والمقصد هنا أن هذه الريح كانت ريح خاصة ، وليست من الريح التى تناولناها خلال هذا البحث .

خاتمة

إن القرآن الكريم وحى الله تعالى على خاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ وهو المعجزة الخالدة ما دامت السموات والأرض ، وأن الله جل ذكره تعهد بحفظه «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» ، وإعجازه لا ينقضى على مر الزمان ، بما حواه من دقة وإحكام وجمال ، وحسن وعظات ، وأسلوب ومعنى ، وبما حواه من تناسق بديع عجيب فى ذكره للأحكام والأخلاق والتشريع ، والقصص . والإخبار والآيات الكونية ، ونظم وعبادات ومعاملات ومعجزات إلخ .

وقد تناولت فى هذا الكتيب المتواضع لفظة واحدة من ألفاظه ، وعشت معها أياما وليالى ، وهى لفظة الريح .. وتناولتها فى مقدمة ، وجعلتها فى موضوعات عدة ، منها الريح والفطرة ، ووعيد الكفرة ، وجبلتهم ، وانتقامهم ، وعدل الله تعالى مع خصوم الدعوة ، والريح وأعمال الكفار ، ومصير المشركين ، والريح مع سيدنا هود وسيدنا سليمان وسيدنا محمد عليهم جميعا الصلاة والسلام ، وكانت مع كل واحد منهم لشأن . ومعنى الشرك والكفر ، والأغراض القصصية فى القرآن الكريم والإنذار ، والريح ومصارع الطغاة ، وأتمت هذا البحث بالريح فى من سورة الانفال ويونس والشورى ويوسف .. ووجدت أن الريح ثلاث أنواع ، رياح تأتى بالخير والمنافع التى لا تعد ، وريح مهلكة مدمرة وريح غير هذه وتلك ، إن كل ذلك جاء ذكره فى القرآن الكريم بصورة متناغمة مترابطة برباط وثيق وجميل ، وكلها فى النهاية له علاقة وثيقة بالدعوة إلى الله عز وجل بما حوى كل موضع من أسرار ، وإحكام ، وإبداع ، وتعانق فى الوقت ذاته مع البعد بينها .. وصدق الله العظيم «أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا» .

واشير هنا إلى الباحثين عامة والدعاة خاصة إلى ما فى الفاظ الذكر الحكيم من حلاوة، وجمال واسرار، فلو تناول أحدهم مثلا: لفظة: الخير فى القرآن الكريم وعلاقة أو وأثره فى الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، وأخذ آخر لفظة: الهدى، وثالث: لفظة: القوة، ورابع لفظة: البشارة وخامس لفظة: النذارة وسادس لفظة الجمال، وسابع لفظة النور، وثامن لفظة الرجال، وتابع لفظة الحق، وعاشر لفظة العدل إلخ إلخ لوجدوا خيرا كثيرا، وعجائب لا تنقضى، وإسرارا فى غاية الأهمية للدعوة والموعوين..

وفى نهاية المطاف أود القول: بأن ماتناولته من الريح وعلاقته بالدعوة إلى الله تبارك وتعالى، جاء فى لمحات موجزة، ونظرات سريعة، فإن كنت أصبت فهذا من فضل الله تعالى، وله الحمد والمنة. وإن كنت أخطأت فنى ومن الشيطان، وأسأل الله تعالى العفو والعافية، ويكفينى حسن القصد.. فالخير أردت.. والله سبحانه وتعالى من وراء القصد، وهو حسبى ونعم الوكيل، وأسأله جل ذكره أن يتقبله منى، ويجعله فى ميزان حسناتى، وإن ينفع به كل من يطلع عليه، سواء بما فيه، أم من المنهج الذى سرت عليه، وأن يتجاوز عن عثراتى، فالكمال لله تعالى وحده، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

د/ محمد رموى أحمد فواز
أستاذ مساعد بكلية أصول الدين
والدعوة بشبين الكوم — قسم الدعوة

المراجع

١ — القرآن الكريم .

٢ — البداية والنهاية ، ابن كثير ، دار الغد .

٣ — البحر المحيط ، ابن حيان ، دار الفكر .

٤ — التفسير الكبير ، الرازى ، ط طهران .

٥ — التصوير الفنى فى القرآن الكريم ، سيد قطب ، دار الشروق .

٦ — الترغيب والترهيب ، المنذرى ، ط الاوقاف .

٧ — الجامع لأحكام القرآن ، القرطبى ، دار الغد العربى ١٤٠٩هـ .

٨ — الزوائد ، الهيثمى ، مكتبة القدسى .

٩ — السيرة النبوة ، ابن هشام ، مطبعة حميدو .

١٠ — الكشاف ، والزمخشرى ، ط الحلبى .

١١ — الكتاب التذكارى للمؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة ، والمؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ .

١٢ — أسرار البلاغة ، ط محمد على صبيح ١٣٩٧هـ .

١٣ — المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقى .

١٤ — المعجم الكبير ، الطبرانى ، ١٤٠٠هـ .

١٥ — المعجزة الكبرى ، الشيخ محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربى .

١٦ — الفتوحات الإلهية ، الجمل ، ط عيسى الحلبى .

١٧ — المصباح المنير ، الفيومى ، ط العلمية .

١٨ — آلهة فى الأسواق ، د/ رءوف شلبى الدار الإسلامية ١٤٠٤هـ .

١٩ — تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، دار الفكر العربي .

٢٠ — تفسير المنار ، المسمى : تفسير القرآن الحكيم ، محمد رشيد رضا ، دار الشعب .

٢١ — تفسير القاسمي ، المسمى : محاسن التأويل ، عيسى البابي الحلبي .

٢٢ — تفسير أبو السعود . المسمى : ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ط دار المصحف .

٢٣ — صحيح البخاري شرح ابن حجر . دار إحياء التراث العربي .

٢٤ — صحيح مسلم ، شرح النووي ، المطبعة المصرية .

٢٥ — فتح البيان ، صديق حسن خان .

٢٦ — في ظلال القرآن ، الشهيد سيد قطب ، دار الشروق .

٢٧ — فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني ، دار إحياء التراث العربي ط ثانية ١٤٠٢هـ .

٢٨ — قصص الأنبياء ، ابن كثير ، دار الأنوار المحمدية .

٢٩ — قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، مطبعة النصر ١٣٥٤هـ .

٣٠ — روح المعاني : الألوسي ، دار إحياء التراث العربي : بيروت .

٣١ — لسان العرب ، ابن منظور ، دار المعارف .

٣٢ — مفردات القرآن ، الراغب ، دار المعرفة .

دوريات

جريدة الأهرام ، العدد / ٣٩٤٩٠ ، سنة ١٩٩٥م

مجلة اكتوبر العدد / ٩٣٧ ، سنة / ١٩٩٤ م

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المشهد الأخير	٨٨
الموضوع الثامن : الريح وسيدنا سليمان	٨٢
الريح والأحواب	٨٨
الموضوع العاشر : تكملة لما جدواها	٩١
الموضع الأول : ريح الأنفال	٩١
الموضع الثانى : ريح يونس	٩٢
الموضع الثالث : ريح الشورى	٩٤
الموضع الرابع : ريح يوسف	٩٦
خاتمـــة	١٠١
المراجع	١٠٣
الفهرس	١٠٥

رقم الإيداع بدار الكتب
١٦٣٤١ / ١٩٩٨ م
I.S.B.N -1977 - 19 - 7601 - x
في يوم ٢٩ / ١١ / ١٩٩٨ م